



al-Ṣafadī, Khalīl ibn Aybak

لوعة الشاكي ودمعة الباكي

للعلامة الهمام الشيخ صلاح الدين خليل
ابن أيبك الصفدى رحمه
الله تعالى

(م)

Lawʿat al-shākī wa-damʿat al-bākī

(و يباع بمكتبة ملتزمه)
محمد مصطفى افندى فهمى واخوته

(طبع بمطبعة الفتوح الادبية)
مركزها بجوار سيدى عبدالله الجوينى بشارع النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

ولابدّ من شكوى الى ذى مروءة   يواسيك أو يسليك أو يتوجع

﴿ أما بعد ﴾ حمد الله الذى قضى بالمحبة والولوع وحكم باحراق كبد كل عاشق وولوع وبهوان أهل الهوى فلم يفرحوا بهجوم الهجوع وأمر بشقاهم اذ سقاهم كاس التفرق والتشوّق والتحرق والدموع والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب قدر العلم المزيد والحلم المديد والبطش الشديد والرأى السديد القائل وقوله يدنى من بالغ الحكمة كل بعيد من عشق وكتم وعف فمات فهو شهيد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين بذلوا المهج فى محبته ولم يتبعوا غير طريقته ولم يبتغوا غير سنته ماهبت نسمات الصبا فتروّح الصب اليها وتمشت من ديار الاحبة فجرت دموعه عليها ﴿ ثم ﴾ انى أعرف اخوانى وأصحابى وخلانى وأترابى سلمهم الله من سطوات العشق ونهباته وروعات الحب وحسراته ودواعى الهوى وهجومه وحديث الوجد وقديمه وولوع القلب واشتعاله ومسكنته وذله واشتغاله ومرارة فراق الحبيب وفقده ومايقاسيه المتيم بعد بعده ومايكابده من تجرع كؤس هجره وصده ومايحصل عليه من وجود شتاته وعدم سناته وماتذكيه نار المحبة من هول مقلتيه وتصاعد زفراته ومايبديه الغرام من تواتر أحزانه وتزايد حسراته ومايجنيه البعاد من تتابع أنفاسه وتواصل أناته فعانيه مقهور بالاوجاع والاوجال مأسور بحبائل الفتن وأغلال الاغلال لاينهض بمقاساته الا الفحول من الرجال ويضعف عنه كل ضعيف نشأ فى النعيم والدلال ولقد أجاد من أوضح هذا المقال حيث قال

هوى بين الملاحة والجمال   يقاسيه القوى من الرجال
ويضعف عنه كل ضعيف قلب   تربى فى النعيم وفى الدلال

(ان) أضر ما على الانسان فى كل زمان أن يجرى طرفه مرخى العنان فيمرح فى ميدان الملاحة والجمال ويسرح فى أفنان اللطافة والدلال فينظر مالا يقدر على الصبر عنه مع

النظر اليه ولا يستطيع الفرار منه عند الزحف عليه فيرجع بعد النعمة والوقار الى موقف المذلة والانكسار و بعد المناصب والخدم الى التفريط والندم وقد قيل كم نظرة أعقبت تعبا وحسرة وكانت نظرة حلوة فاعقبت عيشة مرة وكان يقطع الليل نوما مل ءجفونه فصار يقطعه سهرا بتصاعد أنينه وكان قلبه حرا و يده على العشاق ضارية فصار قلبه مملوكا ودموعه فى الهوى جارية وكان تائها على كل متواجد بالخلو فصار تائها لا يعرف القرار ولا الهدوّ وكان مفيقا من سكرة الحب ولاعج الغرام فصار عاشقا لا يرده العذل ولا يثنيه الملام وكان ساليا عن ملاعبة كل حبيب فصار شاكيا من ملازمة كل رقيب وكان رادعا كل محب عن الحبائب فصار واقعا فى مصايد المصائب وكان عاذلا فصار عاذرا وكان حاذقا فصار حائرا وكان مخدوما فصار خادما وكان مسرورا فصار واجما وكان ضاحكا فصار نائحا وكان كاتما فصار بائحا وكان سليما فصار سليما وكان كليما فصار كليما وكان صحيحا فصار عليلا وكان عزيزا فصار ذليلا وكان ذا عز فذل مذ سطا عليه جيش الحب من كمينه وحل وطالما أرخى الناظر زمام طرفه متنزها فى رشاقة معاطف المحبوب وظرفه متفكها فى لطافة شمائله متفكرا فى شمائل لطفه اذ عاد النظر بوبال الناظر وحتفه وكان كالساعى على حتفه بظلفه والجالب له الحين من حين عشقه وعسفه ولهذا أمر بغض البصر ونهى عن ارسال النظر وقد وقع ذلك فى نظم من شرح الحال وسرح فى ميدان التتيم وجال ونظر نظرا أعقبه سهرا و وجدا و بات كما قال يشكو من المحبوب بعدا

وكنت اذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك النواظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

فصرح بان من أرسل رائد طرفه رجع بوبال مرسله وحتفه لانه يرى مالا قدرة له على كثيره ولا صبر له عن يسيره فأى حال أصعب من هذه الاحوال وأى شىء أعظم من مقاساة هذه الاهواء والاهوال وأى أمر أنكى من مكابدة هذا الخطب الجلى الجليل وأى بطل يقوى على مقابلة هذا الهم العريض الطويل وأى شجاع يثبت لنوافث سحر هاتيك العيون وأى همام يصبر على مناضلة نضال هاتيك الجفون وأى عين لا تدمع عند معاينة هاتيك القدود العوامل وأى كبد لا تتقطع عند مشاهدة هاتيك

المعاطف والشمائل وأى قلب لا يذوب عند استماع ذلك المنطق الشهى الرخيم وأى صب لا يؤب الى محاسن تلك الاخلاق التى هى ألطف من مر النسيم

نظرتك نظرة بالخيف كانت　　جلاء العين منى بل قذاها
فواها كيف تجمعنا الليالى　　و واها من تفرقنا وآها

على أن العين التى توقع القلب فى التعب وتوفر نصيبه من أسهم الهم والنصب وترميه بدواعى الهوان ودواهى الهوى وتسلمه الى مكايدة الغرام ومكابدة الجوى لو عذبت بطول السهر وكثرة الدموع و بفيض الشؤن وعدم الهجوع و بمسامرة الاحزان والفكر و بمراقبة النجوم الى السحر و بعدم الاغفاء وطول السهر لكان استحقاقها وجود جود الدمع وان طما وعدم مثال المنام وان نما

لاعذبن العين غير مفكر　　فيما جرت بالدمع أو سالت دما
ولاهجرن من الرقاد لذيذه　　حتى يعود على الجفون محرما
هى أوقعتنى فى حبائل فتنة　　لولم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمى فلاسفحن دموعها　　وهى التى بدأت فكانت أظلما

(وموجب) هذه المقدمة الواعظه والالفاظ التى هى بالتحذير لافظه (أننى) خرجت فى بعض الايام متفرجا وسارحا وجائلا بطرفى فى الرياض وسائحا وصحبتى صديق لى فى المحبة صادق ورفيق لى فيما أروم موافق قد ملك كل حسن ولطافة وجمع كل حذق وظرافة ينتصب لخدمتى لا يمل ولا يسأم و يتعب فى مرضاتى لا يكل ولا يندم و يجتهد فى موافقتى لا يمن ولا ينم و يحسن فى مرافقتى فلا يذم ولا أذم قد اتخذته جهينة أخبارى وكنز الخزائن أسرارى لا أستطيع مفارقة وجهه الجميل وهو عندى كما قيل

بروحى من لا أستطيع فراقه　　ومن هو أوفى من أخى وشقيق
اذا غاب عنى لم أزل متلفتا　　أدور بعينى نحو كل طريق

(فوصلنا) الى بستان قد أخذ زخرفه وتزين وفاضت عيونه غيرة من نازليه وتلوّن تنساب جداول جوانبه كالاراقم و يصفق النهر لرقص الغصون على غناء الحمائم و يهب النسيم فينقطها من الزهر بدنانير ودراهم قد تطاول فيه من البان كل قد

مقصوف وخجل فيه من الورد كل خد موصوف فاجلسنا النرجس على عينيه
وأحداقه وظللنا الغصن بسائر أوراقه وحيا منثوره الابيض والازرق بالاصابع
وفتح كفوفه الصفر وهومنا غيران فاقع وجرى النهر بين أيدينا متواضعا بسجوده
وشبب الشحرور بمنقاره لما تغنى الهزار على عوده قدرق نسيمه وراق وجذب
الحمائم الى الغناء بالاطواق وروى حديثا تعطرت منه الربى والمسالك وأهدى
من خيام الحب ختام المسك وفى ذلك

أظن نسيم الروض للزهر قد روى　　حديثا فطابت من شذاه المسالك
وقال دنا فصل الربيع فكله　　ثغور لما قال النسيم ضواحك

قد شاب ذلك الزهر قبل شبابه وغناه الطير فتساقط من طربه واعجابه ومر عليه النسيم
بذيله البليل فشب حتى عجبنا من حصول الشفاء من العليل فيا لها روضة صدحت
أطيارها فاطربت الاشجار وألبستنا ثوب الخلاعة عند خلع العذار

انظر الى الروض النضير كأنما　　نشرت عليه ملاءة خضراء
أنى سرحت بلحظ عينك لاترى　　الا غديرا جال فيه الماء
وترى بنفسك عزة فى دوحة　　اذ فوق رأسك حيث سرت لواء

والماء قدرق وراق وتسلسل وهو فى الاطلاق وجرى فتكسر وصفا ولم يتغير
وصاحب النسمات وحالفها وقاطع الاغصان وخالفها وأتته الرياح للزيارة من
شعابها وهضابها وسرق حلى الاغصان فضمها فى صدره وجرى بها والعيون
ترمقه فى جريه ومسيره وهو لا يفتر عن تصفيقه وخريره حتى خشينا عليه التكسير من
التمادى ورجونا من ماء عينيه يروى كل صادى

ياحسنه من جدول متفق　　يلهو برونق حسنه من أبصرا
مازلت أنذره عيونا حوله　　خوفا عليه أن يصاب فيعثرا
فابى وزاد تماديا فى جريه　　حتى هوى من شاهق فتكسرا

ولم يزل الطير يسعى بين النهر والغصن فى الاتفاق ويكرر ألحانه ويراسل فى الاوراق
ويجتهد فى الصلح ويدعو اليه ويحرض على الوفاء ويحرض عليه وقام الشحرور
بينهما واعظا وخطيبا فأجدت مواعظه وكان قلب النهر صافيا وقريبا وقام

النسرين من السرور على ساق وجذب كل صدوح للغناء بالاطواق وتبسمت من الاقحوان الثغور وتنسمت نفحات المسك والكافور واعتل النسيم غيرة وتغير فتولى وهو بذيله يتعثر وجعل يجر من الحياء ذيولا على الاغصان فتعتنق اعتناق المواصل الغضبان

في روضة علم أغصانها أهل الهوى العذرى كيف العناق
هبت بها ريح الصبا سحرة فالتفت الاغصان ساقا بساق

و بكى النهر على مواصلة الغصون وخر لديها وفاضت منه العيون ومثلها في قلبه شغفا وحبا وصار بها من دون الصبا صبا

والنهر قد عشق الغصون فلم يزل أبدا يمثل شخصها في قلبه
حتى اذا فطن النسيم فجاءه من غيرة فازالها عن قربه
وغدا عليه مهينما بعتابه سرا فجعد وجهه من عتبه

فلم يزجر النهر عن حب الغصون زاجر ولا عاذل ولم يجب العذل الا بدمعه السائل وصار يرد برد الهوى بحر هواه العذرى وغدا ساعيا بسعادة الاغصان يجرى فقنع منها بادنى وصال وربما اقتصر منها في الحب على الخيال

ونهر بحب الدوح أصبح مغرما يروح و يغدوها ئما بوصالها
اذا بعدت عنه شكا بخريره جفاها وأضحى قانعا بخيالها

(فسرحنا) الناظر في تلك الربى والرياض وشرحنا الخاطر في تلك الخمائل والغياض وأصغينا الى نغمات طيورها الصوادح واستنشقنا أرج نسيمها الفائق الفائح والاطيار قد أخذت في الافنان بفنون ألحانها وخلعت القلوب بشدوها على دفها وعيدانها وناحت فناجت كل مشوق بأنواع الاشواق وفرحت وقرحت فاخذت الاحزان عن يعقوب والالحان عن اسحق وصدحت فصدعت قلب كل متيم مشتاق وشدت فشذت في حسين الرمل فهيجت بلابل العشاق وناحت في النواحى تشكو ألم الفراق ولها ألف ألف ولم تكن كالعاشق المسكين ينوح على غصن القوم و يبكى على خصر و ردف

وهاتفة في البان تملى غرامها علينا وتتلو من صبا بتها صحفا

عجبت لها تشكو الفراق جهالة ... وقد جاوبت من كل ناحية الفا
ولو صدقت فيما تقول من الاسى ... لما لبست طوقا وما خضبت كفا

(ولم) يكن عندي اذ ذاك باعث غرام ولا لي همة الى التتيم والهيام ولا بي من الشغف مايذود عن جفني المنام ولا بي من الهوى مايقودني الى الردى بزمام ولا لي تطلع الى التضلع من ارتشاف رضاب الثغور ولا عندي من الحنين مايشب الجنين الى ضمات الارداف والخصور أتعجب ممن يهيم وجدا وحبا وأنهر سائل الدمع صبا وأهزأ بمن يعرض نفسه على المحبوب ليستعبدها وأكذب بدواهي دواعي الغرام واستبعدها وأفوق الى جميل بثينة سهام ملام وأسفه رأي قيس وعروة بن خزام وأعد ما نقلوه من أخبارهم كذبا ومجونا وأستبعد من عاقل أن يجلب لنفسه جنونا لا سبيل على لسلطان الغرام والسهر ولا طريق على قلبي لفرد غلام ولو كان كالف قمر (فبينما) نحن في هذه اللذة التي وصفت والعيشة التي راقت وصفت والحالة التي طابت وحلت والخلوة التي من الخيال والخبال خلت (اذا) جانب الروض قد سطع بالانوار وتمايل السرو رمن المسرار وصفق النهر طربا وغنى الحمام وصبا وتبسمت الازهار فرحا واعجابا وتعانقت الاغصان بعدان كانت غضابا وشممنا أرجا فاق في الآفاق على المسك الاذفر ولولا التماسك لطار القلب من الخفقان وفر فحدقنا لنحو تلك الحدائق لننظر ماهذا الارج الفائح الفائق (واذا) نحن بغلمان عدد الكواكب السيارة قد أهالوا الشمس في الهالة وأنجلوا القمر في الدارة من الترك الذين فاقوا بالملاحة والجمال وتضلعوا من مياه مناهل الدلال قد تجنوا على العاشق فغدا في حالة مقلقة وبخلوا بالوصل على الصب بعيون ضيقة وأحرقوا قلب المتيم ببرد الثنايا وبرد اللمى وأرسلوا الى مقاتله من النواظر أسهما وطعنوه بسمر قدودهم العوامل وأسروه بلطف هاتيك المعاطف والشمائل لم يتركوا لغيرهم فضلة من المحاسن واللطائف ولم نر لغيرهم رقة هاتيك الخصور ولا ثقل هاتيك الروادف

لم تترك الاتراك بعد جمالها ... حسنا لمخلوق سواها يخلق
جذبوا القسي الى قسي حواجب ... من تحتها نبل اللواحظ ترشق

نشروا الشعور فكل قد منهم لدن عليه من الذوائب سنجق
لى منهم رشأ اذا قابلته كادت لواحظه بسحر تنطق
ان شاء يلقانى بخلق واسع عند اللقاء نهاه طرف ضيق

قد ركبوا الجياد من السوابق وجذبوا قسيا فاستبقت من قدودهم وعيونهم أسهم وواشق ورموا اقلب المحب فلم يخطئه سهم العيون وخطروا بمعاطف خجلت منها مائسات الغصون وشدوا مناطق خصورهم فبهت المتيم وحار و برزوا بوجوه تقمر قمر الدجى وتكسف شمس النهار (فحين) رأيتهم وقفت ودمعى سائل وسائح و بهت ولب عقلى ذاهب و رائح (فقال) لى صاحبي أبك خبال أم جنون أم عشق أرسل من العيون منك العيون (فقلت) أجل لقد طار فؤادى على أغصان هذه القدود وسحرت بنرجس اللواحظ وفتنت بورد الخدود وجننت من الوجوه التى سار لها من الحسن افنان وفنون وفتنت بتلك القدود التى أطرقت منها فى الرياض الغصون

وجوه فى قدود مائسات بافنان الجمال لها فنون
فما رفق لهن بذى غرام به اختلفت من الوجد الظنون
فقيل به خبال مستمر وقيل أصابه سحر مبين
وقال العارفون ببعض حالى هوى هذا وليس به جنون
ومعذور اذا مامات وجدا على الاقمار تحملها الغصون

(فنظرت) اليهم وأطلت النظر وقد سلبنى الهوى ما كان عندى من الثبات والحذر ونسيت ما تجلبه العين على الفؤاد وجهلت ما يقاسيه العاشق من رعى السها والسهاد ولم أخل أن العين للقلب عدو وانها تسلبه القرار وتمنعه الهدو

تمتعتما يامقلتى بنظرة فأوردتما قلبى أمر الموارد
أعيناى كفا عن قتالى فانه من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

(فبدا) لى بينهم ظبي كأنه بدر سافر أو غزال نافر فاقهم حسنا وظرفا وفاتهم رشاقة ولطفا قد تقمص بالحسن وارتدى بالجمال وتسربل بالغنج وتمنطق بالدلال ان تبدى أنكرت البدر فى تمامه أو تثنى لم تعرف الغصن من قوامه أو رنا لم تدر أسحر بدا أو نصال أو التفت لم تذكر بعدها جيد غزال قد أسهر العاشق بطرفه الوسنان

وفتن الرامق بقده الفتان وأطار الفؤاد على مائس غصن قده وأوهى جلد الكئيب المستهام بحل عقدة بنده

من الترك لو عاينت ذلى وعزه لعاينت مولى لا يرق لعبده
أحب التفات الظبي حبا لجيده وأعشق غصن البان حبا لقده
رعى الله هاتيك الشمائل أنها لبانة من يهوى وغاية قصده
أيا سقمي أعياك رقة خصره ويا جلدى أهواك عقدة بنده

(فحين) رأيته خطف قلبي وأضعف صبري وضاعف كربي وتهت في مهالك الوجد ومهامه الغرام وبت أتفكر في لطف هاتيك الشمائل وهيف ذلك القوام وحرت عند معاينة هاتيك العيون الرواشق وهمت في رقة ذلك الخصر وقراطق المناطق وشغلني الهوى عن التماسك والتقيه وقادني الوجد والغرام قود المطيه وأصبحت بعد ذلك الخلو ملآنا وبعد الرقاد مسهدا سهرانا وملت بعد الراحة الى التعب وبعد الترفة الى الشقاء والنصب ووقعت في مصايد مصائب الوسواس وهوّنت ما كنت أستصعبه من لوم الناس وجريت في مجال ميدان التصابي كالصبا وذهبت في مناكب العشق مذهبا مذهبا وأنشدت العواذل وقد هاجت مني البلابل

ألا فليقل من شاء ما شاء إنما يلام الفتى فيما استطاع من الامر
قضى الله حب العامرية فاصطبر عليه فقد تجرى الامور على القدر

فدنوت منهم وقد عقد الهوى لساني وقيد الحب والغرام جناني وأجرى الوجد دمعي كالمطر وأسلمني حالي الى الاسى والسهر وأنحل العشق جسمي فسار مع النسيم وصرت مع صاحبي ودمعي بين صديق وحميم وقلت حيا الله هذه الشمائل الحسان والقدود التي تغار منها موائد الاغصان والوجوه التي هي بتاء الحسن نواضر والنواظر التي هي شرك النفوس وقيد الخواطر أماترثون لصب مستهام وأسير في قيود الوجد والغرام وقتيل بالعيون الوقاح وطعين بالقدود التي هي الرماح وصريع بتدام المراشف ولديغ من عقارب السوالف تملكت العيون فؤاده وذادت عن الجفن رقاده وتركته ذا وجد ثائر وقلب ذائب وسرّ مزال وعقل صائب وصبر فان ورأس شائب ودمع فان ولون شاحب هجر الرقاد وكان من أهله وعدم القرار لذهاب عقله ترك المناصب

وكان من أهلها ووقع فى المصائب أدقها وأجلها يقاسى زفرات الانات والعويل ويعرض نفسه للهم العريض الطويل يسامر النجوم السائرات ويشارك الهموم والحسرات

يبيت كأبات السليم مسهدا   وفى قلبه نار يشب لها وقد

وقد هجر الخلان من غير ماقلى   وأفرده الهم المبرّح والوجد

(فبادرنى) منهم ذلك البدر الزاهر والغصن الناضر والرشأ الشادن والظبى الفاتن ذو العيون المراض الصحاح والجفون الرقاق الوقاح والخد والمورد الاسيل والجيد الجيد الطويل والخصر النحيف النحيل والردف الخارج الثقيل والثغر الاشنب الرائق والطرف الادعج الراشق والمرشف الشهى الزلال والرضاب القرقف الحلال سيد القوم وواسطة عقدهم وفتنة الخلق وموجد وجدهم ظبى الكناس ووحش الفلا محرق القلب ومذيب الكلى جاذب العاشق الى الردى بزمام مبهت الرائق فى اعتدال ذلك القوام (وقال) أنت حياك الله ورقاك وسلمك من دواعى الهوى ووقاك ولا أسهر لك جفنا من جفاء الحبائب ولا أوقعك من هجر المحبوب فى مصائد المصائب ولا أحرق لك قلبا بنار البعد والفراق ولا لك أغرق جفنا بسيل المدمع المهراق ولا شغل فكرك تجنى الحبيب وصده ولا أذاقك منه مرارة هجره وألم بعده ولا أسلمك من صدوده الى العناء والفكر ولا أوقعك من تجافيه فى بحار الارق والسهر ولا سلبك رونق الوصال والاجتماع ولا راعك بيوم التفرق والوداع بل عطف الله عليك الاعطاف وأجناك ثمار الوصل دانية القطاف وأنالك حظا من الرقاد الهنى ونهلك المرشف الزلال الشهىّ السنى وأضجعك مع المحبوب فى فراش واحد وقلد جيدك منه بمعصم وساعد وأباحك لثم الخدود ورشف الثغور وسرك بحل عقدة البند عن الارداف والخصور وجمع شملك بمن تحب وتختار وشمل جمعك بمزار الدنو ودنو المزار (ثم) تحين غفلة أترابه وركض نحوى بجواده ففتح لى باب الفرج وأدخلنى من باب النصر دار اسعاده وقال امض بنا مسرعا الى آخر باب هذه البستان واسترنا حتى عن عيون النرجس الغيران لنتشاكى هما كثيرا فى ساعة يسيره ووجدا طويلا فى جلسة قصيره فسرت أمامه منشرح

الصدر بتلك الجلسه مهنأ القلب بتلك الخلسه فنظر يميناً وشمالا وقد تمايل عجبا ودلالا وقال أقم حوالينا الحرس وانحط كالسهم عن ظهر الفرس وأقبل يتمايل بقده كالقضيب المائس ويرنو بطرفه الكحيل الناعس وقد سارت محبته فى سائرى ولم يخطر سواه بفكرى وخاطرى

وافى شبيه البدر يخطر مائلا ثمل القوام فديته من خاطر
لا شىء أبلغ فى هواه من الردى يا نفس دونك فاعشقيه وخاطرى

(وقال) عهدتك ذا جنان ثابت ونفس أبيه وعقل مصيب وآراء مضيه فما الذى جشمك هذا الموقف العجيب وسلمك الى البكاء والنحيب وكيف وقعت فى أمر كنت تزجر عنه الخلائق وتزدرى منه بكل مهجور وعاشق وكيف غررت بنفس لم تبرح فى صيانه وأهنتها ولم تكن تعرف الاهانه وعلام أرخيت رسنها فى ميدان الهوى والهوان وأعطيتها من طلق الخلاعة فاضل العناء والعنان كيف نسيت المواعظ التى كنت للناس توردها والحكم التى كنت تنشدها طورا وتجددها فهل صدقت بدواعى الهوى التى كنت تستبعدها وهل استعبدتك نفس ما برحت تستعبدها أين مواعظك فى كف النظر واطالته وزواجرك فى غض البصر واجالته أين تحذيرك من العشق ودواهيه أين تخويفك من الحب ودواعيه أين ازدراؤك بالمتيم وسقامه أين استهزاؤك بالصب وهيامه فسقت الى نفسك بالنظر الينا تعبا وحملتها على رغمك وزعمك هما ونصبا أما علمت أن قتيل الهوى لا قود على قاتله ولا حرج على متعمده وفاعله وان ثاره لا يطلب وفاعله لا يدرك ولا يغلب ألم يقل امامك الشافعى رضى الله تعالى عنه فى تهويل هذا المقام والتحذير منه

خذوا بدمى هذا الغزال فانه رمانى بسهمى مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه اننى أنا عبده وفى مذهبى لا يقتل الحر بالعبد

(فقلت) له هذا قدر الله وما شاء فعله وهذا قضاؤه السابق فلا يرد بالحول ولا بالحيل فانظر الى بعين الشفقة والرحمة واجبر كسر قلبى منك بضمة ولا تتركنى مثلا فى البرية ولا لاحقا بوحوش البرية (فتبسم) عن ثنايا فضح رونقها عقود الدرر ورمقنى بلحظ يفتن الحور بالحور وقال أعندك بالله من المحبة كما ذكرت ومن التتيم ما أنهيت

وأشرت وبك من العشق مايذود عن جفنك المنام ومن الولوع ماأسلمك الى الوجد والهيام ولحقك من الغرام ماتقول وتدعى أم كل ذلك من مبالغات المتملق والمدعى فان كان لك بينة بهذه المقالة فأت بها ودع عنك الاطالة فأنا لا أقبل من الشهود الا من يظهر لى حاله وتحسن عندى أقواله وأفعاله (فقلت) له عندى شهود يعرفون بالعدالة مقبولون عندك فى المقالة يسجلون على قاضى الحب مايدعيه المشوق فيرقم تحت كل اسم مقبول أمين ثقة عدل صدوق

وعندى شهود للصبابة والاسى　　يزكون دعوايا اذا جئت أدعى

سقامى وتسهيدى وشوقى وأنتى　　ووجدى وأشجانى وحزنى وأدمعى

(فقال) زدنى بينة على دعواك فقد أنكرت حالك فى محبتك وهواك وتكثير البينة تطمئن اليها النفوس وتحصل بها على العناق والبوس بعد العناء والبؤس (فقلت) له وشهودى معى وقد فاضت عيونى بأدمعى

ان كنت تنكر حالى والغرام وما　　ألقى وأنى فى دعواى متهم

فالليل والويل والتسهيد يشهد لى　　والحزن والدمع والاشواق والسقم

(فقال) الآن علمنا حالك فان شهودك عدول وأن ليس لما ذكرت من الاشجان عندك عدول ولكننى أريد منك يمينا استوفيها تبين بان عندك من الحنين مايشيب الجنين وأنى عندك من جميع الخلق أعز وفى عينيك أحلى وأبز وأن وصالى أحب اليك من الدنيا ومافيها وان رضابى ورضائى أحلى لنفسك من أمانيها وان هواى قد ملك منك الفؤاد وأسلمك الى الارق والسهاد (فقلت) ومن زين صبح الجبين بليل الشعر وجمل سحر العيون بالكحل والحور وغرس فى عذب المراشف صغار الدرر وخلق أقمارا أضيئة أبهى من الشمس وأحسن من القمر وألسع كل متيم بعقارب السوالف وأسكر كل صب بصهباء المراشف وخلق خدودا أطرى من الورد وأظرف وأشهى من الخمر وألطف تفترعن الحمرة والتخجيل ولا تصلح لغير العض والتقبيل وزين الثغور بيواقيت الشفاه وجعل رضابها دواء كل صب وشفاه وأبدع فى اجادة الاجياد الاعناق وجعلها سببا لزوال العناء عند العناق وأعدم الخصور وأوجد الارداف وأبدع فى زخرف مناطقها على الاحقاف انك عندى

أعز من بصرى وسمعى وأحب الى من سرورى ونفعى وأحلى فى عينى من جميع النسمات وألطف عندى من هبوب النسمات أجتهد فى خدمتك فوق الاستطاعة وأقابل أوامرك بالامتثال والطاعة

لاجلك سعيى واجتهادى وخدمتى ... ويا ليت هذا كله فيك يثمر
تبعت الذى يرضيك فى كل حالة ... وان كنت لم تبصره فالله يبصر
فوالله ما بعدى محب ومشفق ... وسوف اذا جربت غيرى تذكر
فما شئت من أمر فسمعا وطاعة ... فما ثم الا ما تحب وتأمر
على وانى لا أخل بخدمتى ... وأبذل مجهودى وأنت المخير

(فتبسم) عجبا وتثنى طربا (وقال) ان صدقت دعواك فى محبتنا وصحت أقوالك فى مودتنا فلا تحل عن المحبة الصادقة ولا تشم للسلو بارقة ومت على تلك المحبة وابعث فانها ألطف لشمائلك وأدمث وليكن لك فى موت هوى الجميل الجميله فالموت لابد منه ومالى رد الردى حيله

مت راشدا فلك الجميلة فى الهوى ... فالموت فى شرع الهوى بك أجمل

(فقلت) له أقسم بقوك الاهيف النضير وجبينك المشرق المنير وطرفك الفاتن الفاتر ولحظك الساجى الساحر وشعرك الاسود الحالك وصدغك الارقم الفاتك وخدك الاحمر الناعم وثغرك الاشنب الباسم وريقك المستعذب الصافى وحسنك الوافر الوافى وورد خدك الجنى ونرجس لحظك البابلى ودر ثغرك اليتيم وغصن قدك القويم ورقة خصرك النحيل ودعص ردفك الثقيل وذل مصارع العشاق وحل سحر مواقع الاحداق وزورتك التى من غير كلفة ولا ميعاد وطيب ما أودعت من الهوى فى صحيح الفؤاد لاحلت عن المحبة فى الحياة ولا بعد الموت ولا رجعت عن الوداد ولا سلوت

قسما بزورتك التى من غير ما ... وعد سمحت بها وغير تكلف
وبطيب ما أودعت من طيب الهوى ... سمعى وذكر صبابتى وتعنفى
هى زورة نفت الرقاد وغادرت ... بين الجوانح جمرة لا تنطفى
ما أنت الا منيتى ومنيتى ... وعلى رضاك تحرقى وتلهفى

أناعبدعبدك ان غدوت مواصلي　　أوهاجري أوظالمي اومنصفي
ومريض حبك ان سمعت بأنه　　يوما تحدث بالسلو فلا شفي

(فقال) صدقت في هذه الدعوى واتبعت الحق في الشكوى من عدم السلوى فأديت عندي من المحبة ما يشهد بصحة دعواك وبي من الوجد ما أتحقق به بلواك وها أنا في خدمتك وبين يديك ونافذ على حكمك ولا ينفذ حكمي عليك فأمرني بالذي تختار وتريد واحكم فديتك حكم المولى على العبيد وارسم فأني لك سامع ومطيع وقل فقولك المسك يضوع ولا يضيع

سيدي لبيك عشرا　　لست أعصي لك أمرا
كيف أعصيك وودي　　لك دون الناس طرا

(فجلب) قلبي بلطف كلامه الفصيح وسلب لبي بغصن قوامه الرجيح وأولاني من الاحسان مالم يكن في الحساب وفاضت جفوني فأخجلت نوء السحاب وخدد سيل المدامع مني كل خد وطال شرحه فلا يوصف ولا يحد (وقلت) له أما ترثي لصب دمعه مثل اسمه وقد صار السلو أوفر سقمه (فقال) لا تشك لي سائل دمعك فما لي طاقة برد سائل ولا تشرح لي شرح حبك فهو شرح طويل وليس تحته طائل وليكن لك في فوت هو جميل الحب جميل فمالي برد التسلي سبيل فلما كسر قلبي بهذه المقاله ومنعني شرح الشرح خوف الاطالة نكست رأسي مكمدا وصعدت أنفاسي منشدا

أقول له أما ترثي لخدي　　وتسمع من دموعي ما تقول
وتبصر ما جرى منها عليه　　لاجلك قال ذا شرح يطول

(فنظر) الى نظرة المحب الشفوق ولاحظني ملاحظة الصديق الصدوق وقال ما الذي يبكيك وأنا بين يديك حاضر وما الذي يشجيك وأنا لك منادم ومسامر وما الذي يؤلمك وأنا لك طبيب وما الذي يوحشك وأنا منك قريب وما الذي يقلقك وأنا محدثك ومناجيك وما الذي يحزنك وأنا تحت أوامرك ونواهيك (فقلت) والله ما أنكاني وأبكاني وأودى بي وآذاني الا ما تحققه من الفراق الداني فأبكي وأنت حاضر ومقيم لانني بالذي يصنع الفراق عليم

في كل يوم لارباب الهوى شان　　وجدوشوق وتبريح وأشجان

دموعهم كالغوادى وهى سائلة　　وفى حشاشتهم للحب نيران
يبكون فى الوصل خوف الهجر من شفق　　فكل أوقاتهم هم وأحزان
لا يعرفون سلوا يهتدون به　　هيهات ليس مع العشاق سلوان

(فقال) دع عنك هذا الكلام وارسم بالمراد والمرام واطلب الذى تختاره وتشتهيه واظهر لى المقصود ولا تخفيه (فقلت) مرادى تطفئ كربى من ثغرك بنهله وتجبر كسر قلبى من خدك بقبله فهذا مرادى ومناى وجل قصدى فأنلنى مرادى بقيت بعدى

تقبيل خدك أشتهى　　أملى اليه ينتهى
لو نلت ذلك لم أنل　　بالروح منى أن تهى
دنياى لذة ساعة　　وعلى الحقيقة أنت هى

(فنظر) الى متبسما وأشار الى متحكما (وقال) يا الله العجب كيف سلبك الحب العرفان وأودى بذهنك مع القلب والاجفان وكيف أعدمك الوجد تلك الفراسة أسلمك الى المذلة بعد العز والرياسة العشق غلب عليك فتهت فى صحارى الحيرة والحب أوقعك فى الردى فسلبت الخير والخيرة يا ذا اللون الشاحب والذهن الغائب والجفن الساكب والقلب الذائب والوجد البادى والحزن الحاضر والدمع الجادى والقلب السائر والصبر الغادى والنوم الرائح والقلب الصادى والخد السائح أما لوحت بين يديك غير كرة أما صرحت بقولى مرة بعد مرة بأننى فى خدمتك فافعل ما تريد واحكم على حكم الموالى على العبيد ها رضابى فانهل منه حتى تروى وها اسانى فاشرب من مائه حتى تقوى فسكن بهما من فؤادك غليله وحره ولا تشره اذ تشرب فتتبع الشربة بالجره وها خصرى وجيدى فاعتنقهما ولا أبا لك وها خدى وفى فالثمهما ما بدالك وها مرشفى وريقى فارشف منهما قرقفك وزلالك (ثم) دنا منى بلطافة تقصر عنها صفتى وأهوى برشفه وقال الثم شفتى

أهوى برشفه الى وقال ها　　ويلاه من رشا أطاع وقالها
فرشفت من رشفاته معسولها　　وضممت من أعطافه عسالها
وظفرت فى اليقظات منه بخلوة　　ما كنت آمل فى المنام خيالها

وقال دونك منى وما تريد فانى منك غير بعيد فارشف رضابى والثم وجناتى

واغتنم رضاى وادخل جناتى (فعجبت) من لطافته وكرم أخلاقه وسلب عقلى عند تقبيله واعتناقه أنعشنى بجمرة خده الرائق الوردى وأسكرنى بخمرة ريقه العاطر الندى

وفى شفتى من ملتقى رشفاته بقايا رضاب طيبه يتشوف
فأثبت عندى أن فاه وثغره وريقته كاس ودر وقرقف

(فضممته) الى صدرى ضمة وأى ضمه وبادرته بلثمة بعد لثمه فسلم الىّ فى اللثم وفى الرشف قيادى وأبلغنى من الضم والقبل مرادى وقال أبحتك نفسى هذه الجلسه وسلمتك أمرى هذه الخلسه فبس ما استطعت أن تبوس وأزل بالعناق ما بك من عناء وبوس (فبادرت) فى الحال الى امتثال أمره وتنقلت من برد ثغره ونجد ردفه الى غور خصره

ياطيب يوم ظلت فيه معانقا من أشتهى قد كان يوما أزهرا
واصلت فيه معذبى ولثمته ألفا على وجناته أو أكثرا
ويعز والله العظيم علىّ ان أصف الذى قد كان منى أوجرى

لكننى لم أخل من واش ورقيب فلم تكمل لذتى بمجالسة الحبيب لانى حين حللت عن اردافه بند القبا خشيت التنغيص من الوشاة والرقبا فلم أتهنا بوصل وعناق ولم يحصل للقلب شفاء من تلك الشفاه الرقاق بل كنت ألثم لثمة وأنظر الى الطريق وأرشف رشفة ورحيقه فى القلب حريق فكأنى عصفور رأتى يسرق يانع الثمر وهو حذر من نواظر النواظير بالغ الحذر

فكم عناق لنا وكم قبل مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهى خائفة من النواظير يانع الرطب

فملازمة الرقيب أمر يضنى ومرض يفتت القلب ويفنى والمحبون ابتلوا بالرقباء قديما وراعوا بهم روض الغرام يانعا وهشيما مع ان الرقيب هو المبتلى بالنصب وصاحب الارق والاسى والتعب لان العاشق يجد لذة فى المحبة عليه عائده والرقيب يضيع زمانه ويذوب فؤاده بلا فائده لكن العاشق يشتكى من حضوره ومجالسته ويتأذى بترصيده وملازمته فلو كان لى حكم يشاع أو أمر يطاع لمتعت كل عاشق بالحبيب

وأخليت الارض من كل رقيب

لى شهوتان أود جمعهما　　لو كانت الشهوات مضمونه
أعناق عذالى مدققة　　ومفاصـل الرقباء مدفونه

ولـكن القضاء ليس بمدفوع ولا مردود ولنرجع الآن الى ذكر المقصود (فقال) لى مصباح النواظر و راحة الارواح والخواطر عدنى الى يوم ألقاك فيه هنا واغشى فيه وطنك لتبلغ به وطرك والهنا فقـد طال على أصحابى مقامى وهم لا يدرون أين مرامى ولا يمكننى التأخير عندك ساعة أخرى بل اللحوق باترابى أولى وأحرى فمتى بلغهم حقيقة خبرنا واقتصوا مع العلم على أثرنا وقعنا معهم فى المقعد المقيم فلم تأمن أن تحرم من وجهى بعدها نضرة النعيم (فقطع) نياط قلبى بهذا الـكلام وقادنى غريم الغرام الى الرضى بزمام وذهب عقـلى وطار وجرى دمـعى وجار وقرب مصرعى ودنا وحرت فلم أدر أين أنا

أأحبابنا ماذا الرحيل الذى دنا　　لقد كنت منه دائمـا أتخوّف
هبوا لى قلبا ان رحلتم أطاعنى　　فانى بقلـبى ذلك اليـوم أعرف
و ياليت عينى تعرف النوم بعدكم　　عسـاها بطيف منكم تتألف
قفوا زوّدونى ان مننتم بنظرة　　تعلـل قلبا كاد بالبـين يتلف
تعالوا بنا نسرق من العمر ساعة　　فنجنى ثمار الانس فيها ونقطف
وان كنتم تلقون فى ذاك كلفة　　زورونى أمت وجدا ولا تتكلفوا

(فقلت) ما أقرب ما بين الوداع واللقاء وما أقصر ما بين النعـيم والشـقاء وافى الحبيب وطيب الوصل منه يتضوّع ثم سرى بقلبى اذ سار وماودع

وكنت كالمتمنى أن يرى فلقا　　من الصباح فلما ان رآه عمى

(فقلت) انى أود أن أكون بخـدمتك مقاما و رحيلا ولا أتخذ غيرك صاحبا وخليـلا ولـكن لا حيلة لى فى رد القضا ومن ذا الذى أعطاه دهره الرضا ومن عادة الدهر عكس المرام والمراد واظهار العناء والعناد

يادهر ما للمرء طبع حديدة　　فارفـق به فالمرء من فخار

ولكن اجعل لى ولك موعدا نجلو به الغم والهم ووقتا آتيك به سعيا على الرأس لا سعيا على القدم (فقلت) له وقد أرسل فرط غرامه من طرفى الدمع المدرار وعدم قلبى الجلد والاصطبار قد سلبت منى بهذا القول قلبا وعقلا فعد أنت فالوعد منك أعذب وأحلى (فقال) ميعادنا يوم السبت بهذا المكان وبالله التوفيق والمستعان ثم شرع فى أسباب التهيء للرحيل ودموع العين تسيح وتسيل (فقلت) له بالله أصدق الوعد فى العود والاياب ولا تدعنى أظل أشكو فمثلك لا يشكى ولا يعاب

بالله جدلى بوعد صدق وخل هذا الدلال عنكا
ولا تدعنى أظل أشكو مثل محياك ليس يشكى

(فقال) سمعا وطاعة لاشارتك وحظى أوفى وأوفر فى اتيانك وزيارتك وشرع فى القيام فسقطت مغشيا فضمنى ضمة عدت بها قويا سويا (فقال) تثبت أيها الشهم الشجاع وتجلد أيها البطل المطاع فما أنت من أراذل الناس ولا ممن يردعه الباس ودعنى من التسويف والتعليل فلابد من التفرق والرحيل وميعادنا يوم السبت المذكور والله سبحانه ميسر الامور ثم ودعنى فودعت عقلى وقلبى ولاقيت أحزانى وكربى (فقبلت) فاه العاطر وعانقت قوامه المياد وضاعف الوجد حزنى فتقطع القلب أو كاد فمارويت عراشفه وان كان لها برد فى الفؤاد ولا سررت بمعانقته لانه عناق بعاد

قبلته ولثمت باسم ثغره مع خده وضممت عادل قده
ثم انثنيت ومقلتى تبكى دما يارب لا تجعل آخر عهده

(ثم) امتطى ظهر جواده الاشقر وصبح جبينه قد أشرق وأسفر وطرفه قد سكر وعربد وخده قد توهج وتوقد وصدغه قد تعقرب وتجعد وعطفه قد تثنى وتفرد وخصره قد تناحف وتناحل وردفه قد تخارج وتثاقل وقال ميعادنا اليوم المذكور بهذا المكان وركض جواده حتى غاب عن العيان فرحل بمهجة ختم عليها وخيم فيها وعوض العين عن الكرى فيض مآقيها

أيا من غاب عن عينى منامى لغيبته وواصلنى سقامى
رحلت بمهجة خيمت فيها وشأن الترك ترحل بالخيام

(فحين) ولى غادر فى القلب نارا لا يخبو زفيرها وجمرة لا يفتر وقدها وسعيرها فبالله ما أقرب ما بين الراحة والتعب وأقصر ما بين اللذة والنصب

ومضى وخلف فى فؤادى لوعة ... تركته موقوفا على أوجاعه
لم أستتم عناقه لقدومه ... حتى ابتدأت عناقه لوداعه

فلم يكن الا بمقدار ما غاب عن عيانى حتى أظلم على مكانى وحال قلبى وحار وسال دمعى وسار وبقيت باهتا أبكى وأنوح حائرا كيف أغدو وأروح وفاضت من عينى عيون واعترانى ذهول وجنون

ولقيت فى حبيك مالم يلقه ... فى حب ليلى قيسها المجنون
لكننى لم أتبع وحش الفلا ... كفعال قيس والجنون فنون

(فبينما) أنا فى تلك الحالة الحائلة وقلبى مذعور وعينى حائلة أستنجد بالدموع فتأتى ولا تأبى وأرسل الاشجان الى الاجفان فتسلبها المنام سلبا أقول لقلبى استعد للاحزان والاشجان وللدمع أجر فلمثل هذا اليوم صنتك فى الاجفان

لبكاء هذا اليوم صنت مدامعى ... وكذا العزيز لكل خطب يذخر
يا ساكنى وادى العقيق فدتكم ... عين مدامعها عقيق أحمر
بنتم فما استعذبت بعد حديثكم ... لفظا ولم يحسن لعينى منظر

(واذا) بصاحبى قد أقبل من جانب البستان وهو يجاوب الاطيار بترجيع الالحان فرآنى على تلك الحالة التى وصفت والصورة التى ما راقت ولا صفت فاستعظم أمرى واستبشعه وازدرى حالى واستشنعه (وقال) مالى أراك على هذه الصورة العجيبة وأرى دموعك سائلة ومجيبة قل ولا تكتم منى وصرح ولا تكنى

أيا صاحبى مالى أراك مفكرا ... وحتام قل لى لا تزال كئيبا
لقد بان لى أشياء منك تريبنى ... وهيهات يخفى من يكون مريبا
تعالى فحدثنى حديثك آمنا ... وجدت مكانا خاليا وطبيبا
تعال أطارحك الاحاديث فى الهوى ... فيذكر كل من هواه نصيبا

قل ما أصابك جعلت فداك وأى خطب به الدهر رماك أبك خبال أم جنون أم أصابتك عيون عيون (فقلت) نعم بى نظرة عيون كحيلة مالى من التخلص منها حول

ولا حيلة ومالى سوى عين نظرت لحسنها وذاك لجهلى بالعيون وغرتى

وقالوا به فى الحب عين ونظرة لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتى

(فقال) كان ذلك وانفصل واتصل بك من الوجد والغرام ما قد اتصل (فقلت) نعم قضى الله وما شاء فعل ومن ذا الذى يرد القضاء اذا نزل وما بقى لى غير تدبيرك الحسن و بذل المجهود والاجراء من صنيعك المحمود على ما هو المعهود فقد قامت قيامتى ان لم أشاهد وجهه المليح وقد زالت سلامتى ان لم أعاين قده الرجيح

أنا والله هالك * آيس من سلامتى أو أرى القامة التى * قد أقامت قيامتى

فقف معى مغيثا أو معينا أو ضاحكا أو حزينا أو عاذلا أو عاذرا أو فاضحا أو ساترا

قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا أو معينا أو عاذرا أو عذولا

(فقال) لاجعلن وجهى فى خدمتك أبيضا ولابذلن جهدى لتنال الرضا وفوق الرضا لكن اكتم ما بك واصبر على الغرام ولا تظهر شأنك لاحد من الانام فلست من السوقة الاراذل وظهور هذا منك ليس بطائل (فقلت) صدقت ولكن ليس لى دمع يمتنع ونصحت ولكن ليس لى قلب يرتدع فما أقابل حلاوة محبوبى بالصبر ولا أسلو هواه ولو وسدت فى القبر وقد شكا الناس قبلى ألم البعد والفراق وقاسوا عظيم الوجد والاحتراق ولكن لمثل حبى ما مشيت و بمثل وجدى لا سمعت ولا رأيت

شكا ألم الفراق الناس قبلى وروّع بالهوى حى وميت

وأما مثل ما ضمت ضلوعى فانى لا سمعت ولا رأيت

(فقال) قم أيها المغرور المقهور المأسور المعذور (فسرت) معه الى الدار وأنا أستنجد الدموع الغزار وأسكن القلب ولا يطمئن وأعلله ولا يستكن وصاحبى يصبرنى وأنا لا أصغى سمعا و يعذلنى ودموعى تذرف سبعا سبعا وأقول له لا تتعب فقلبى معلق بتلك العلائق ولا تعتب فنومى وعقلى وصبرى طالق وطالق وطالق

ومصبر للقلب قلت له فهل صبر لمن عنه الحبيب يغيب

والله ان الشهد بعد فراقه ما طاب لى فالصبر كيف يطيب

(ولم) أزل أرسب فى الفكر وأعوم وأقعد فى الوجد وأقوم وأعادى من الولوع عظائم الزفرات وأقاسى من الدموع سحائب العبرات وصاحبى يعذلنى و يلحينى

و يعوذنى و يرقينى وأنالاأرجع ولاألتوى ولاأرتدع ولاأرعوى بل أقول له سلم لى قيادى فى العشق والهيام ولا تعترض على فى اللوعة والغرام

للعاشقين بأحكام الغرام رضا فلا تكن يافتى بالعذل معترضا

روحى الفداء لاحبابى وان نقضوا عهد الوفى الذى للعهد ما نقضا

قف واستمع راحما أخبار من قتلوا فمات فى حبهم لم يبلغ الغرضا

رأى فخب فرام الوصل فامتنعوا فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

(فنظر) الى نظرة مشفق وراحم وقال سبحان مقلب قلوب العوالم ولم أزل على حالى الحائل العجيب ودمعى السائل المجيب الى أن أتت عساكر الليل الجحافل وأقبلت طلائعه بكل بطل ومقاتل فحكم الليل فى وأمر وحبس النوم وأسلم العين للسهر وأطلق أجفانى بسيل المدامع الذوارف ونصبنى واقفا أتلهف من عينيه وصدغيه على الماضى والسالف قد شرد النوم عن أجفانى فمالى بالمنام منال وأمرنى بتوديع قلبى عند توديع ذلك الرشا الغزال

ودعت قلبى يوم توديعهم وقلت يا قلبى عليك السلام

وأنت يا نوم انصرف راشدا فان عينى بعدهم لا تنام

قد نسيت الكرى والصباح وتذكرت الجوى والصباح وساهرت النجوم وسامرت الهموم والليل مستمر لا يبرح وكواكبه لا تتقلقل ولا تتزحزح وطال على الليل فهو سنه فما ألم بمقلتى غمض ولا سنه

وطال على الليل حتى كانه من الطول موصول به الدهر أجمع

وشرعت فى مسامرة القمر ولم أجد عونا على السهاد والسهر وأنشدت عند تراكم الاحزان والفكر أخاطب الليل الطويل مع ملازمة البكاء والعويل

ياليل طل أولا تطل لابدلى أن أسهرك

لو بات عندى قمرى مابت أرعى قمرك

ولم أر ليلة أجور منها ولا أظلم ولا أطول منها ولا أعتم كأنها من الطول حرون أدهم

وأنا بها مصاب اذهم بى ماهم غابوا فلم أدر ما ألاقى مس من الوجد أم جنون

ليلى لا يبتغى حراكا كأنه أدهم حرون

ولم أشك أن الدهر كله ليس يبرح وان كواكبه مستمرة لا تنتقل ولا تتزحزح وان الصبح قدمات لا يتنفس ولا يتوضح وان النهار قد تاه فما له الى الاستدلال مطمع ولا مطمح

خليلى ما بال الدجى لا يزحزح وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل النهار المستنير طريقه أم الدهر ليل كله ليس يبرح

أطلب النوم برفق فيأبى مصاحبة الاجفان وتدخل العين عليه فى الصلح وما هى عنده بانسان فانه عدم صحة القلب وطيب العيش على السفر وامتنع من خيط الاجفان وان كانت الاهداب كالابر

قلبى وعقلى وطيب العيش بعدكم ثلاثة للنوى أمسوا على السفر
أجفان عينى ما خيطت على سنة هذا وقد غدت الاهداب كالابر

استرسل الطيف اذ ذاك محال لان الطيف على النوم محال ومن عدم الكرى كيف يأنس بالطيف ومن سلب المنام فانى يطرقه للطيف ضيف فلا أعاتب الاحباب فى منع خيالهم الناشز لعلمى ما بين الكرى وعينى من المفاوز فلقد بعد عهدها بلذيذ المنام وطيب الكرى ولقد كفى ما همل منها على الخدين وجرى

أأحبابنا ان فرق الدهر بيننا وغيركم من بعد قربكم البعد
فلا تبعثوا طيف الخيال مسلما فما لجفونى بالكرى بعدكم عهد

فلقد كفانى حزنا عدم اللذات الا بالفكر والتخييل وعدم استزارة العين الطيف لاشتغالها بالدمع المديد والسهر الطويل ولو حصل نوم وأتانى طيف لقاسيت منه الخطب الجليل فقد حصل من الفراق أوّلا ما منعنى من استزارة الطيف الكريم البخيل

كفى حزنا أن لا أراقب لحة ولا أنظر اللذات الا تخيلا
ولا أستزير الطيف خوف فراقه لما ذقت من طعم التفرق أوّلا
وأقسم لو جاد الخيال بزورة لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

ومازلت أعانى القلق والسهر وأكابد الاحزان والفكر حتى برق عمود الصباح وأعلن الداعى بحى على الفلاح وظهرت تباشير الصبح الوسيم وولى زنجى الليل وهو هزيم

فكأن الصباح فى الافق باز والدجى بين مخلبيه غراب

فلما ارتفع ضوء النهار ودمعى وصبرى قد سال وسار ما رأيت حسنا الا توهمته الحبيب

ولا مروعا الا وخلته الرقيب وأنا فى حالة تسر الحواسد والاعداء وتسوء الاصدقاء والاوداء كلما ذكرت الحبيب تنفست وكلما فطنت للرقيب أوجست

أقضى نهارى بالحديث و بالمنى و يجمعنى والهم بالليل جامع

نهارى نهار الناس حتى اذا بدا لى الليل هزتنى اليك المضاجع

أتذكر الحبيب فاصرخ وأصيح وأستنجد الدموع فتسيل وتسيح وصاحبى يلاحانى و يردعنى و يهددنى بالملامة و يصدعنى أقول له لا تؤذنى بنصحك وعذلك فيقول انى أحزن لثبوت جنك و ذهاب عقلك فأنشد وقلبى ذاهل وعقلى زائل

من منصفى من عاذل جاهل يخون باللوم لمن لا يخون

ان قلت ما نصحك الا أذى قال وما عشقك الا جنون

فيقول نعم أنت مجنون فى معرفتى وفهمى أو كما ورد حبك الشىء يصمى و يعمى (فقلت) أليس عجيبا جنون مثلى وقد عدمت فؤادى وسلبت عقلى

هبونى قد جننت وضل عقلى فهل عجب لمثلى أن يجنا

ونحن معاشر العشاق نرضى بما فرض الغرام لنا وسنا

اذا عبث الغرام بقلب صب وأمسك لا يحن فليس منا

نشدتك أيها اللاحى رويدا فقد أزعجت قلبا مطمئنا

أعيذك من صبابتى و وجدى ومن قلقى اذا ما الليل جنا

هوى لو أن عذرة أدركته لانساها هوى قيس ولبنى

(فقال) لى صاحبى وهو يحاورنى و بالعذل والملام يبادرنى بالله ارجع عما أنت فيه من الخيال والخبال ولا تلحق ببطون الاودية و رؤس الجبال (فقلت) دعنى بالله أيها الصاحب الصدوق والناصح الشفوق فانى أخشى طول مدة الفراق و بعدها فياليتنى أراه نظرة وأموت بعدها

أليس عجيبا أننى لا أراهم وان زمانى بالفراق يفوت

فياليت ان الدهر جاد بقربهم لعلى أراهم نظرة وأموت

فلقد ذهبت مقلتى من السهر والعبرات واحترق قلبى بتصاعد الحنين والزفرات وذاب فؤادى من لاعج الحب والغرام وانتحل جسمى من تلاعب الضنى والسقام ثم انى

سميرغير الهموم والفكر ولا أنيس سوى الاحزان والسهر

سلوادجى الليل عن حالى وأخبارى　　يحكى لكم سهرى فيها وأفكارى
ترى تعود ليالينا بذى سلم　　لعل أقضى لبا ناتى ووأطارى
روحى الفداء لمن باتت حواسده　　تثنى على حسنه العارى من العار
تجمع الحسن فيه وهو منفرد　　بين البرية جل الخالق البارى

(فقال) لى صاحبى قد رأينا من عشق وكتم وأحب وتهتك وهوى وألم أنت قد أتعبت نفسك فيما لا يفيدك وأردت من لا يحبك ولا يريدك فان كان بك جنون فخبرنى أو عشق فلا تكتم عنى (فقلت) انى لاحسد والله من يجتمع شمله باحبابه ويرقد مع محبوبه بعد اشعاله شموعه واغلاق بابه حتى ترانى أحسد الثريا فى السما وأتواجد على الزمان اذ جعل وجوده عدما

خليلى انى للثريا لحاسد　　وانى على ريب الزمان لواجد
أيبقى جميعا شملها وهى ستة　　وأفقد من أحببته وهو واحد

ومازلت على هذا الحال من تواتر الحرق والبلبال وقطع مسافة الليالى والايام واستبطاء ساعاتها التى هى أطول من القرون فضلا عن الاعوام أقاسى كل ساعة أطول من حول وأقتل نفسى حتى عدمت القوة والحول وأنتظر رحلة الايام والليالى وأنا أعظم من حر المقالى الى ان دنا وقت الميعاد وأظل يومه أو كاد فبت تلك الليلة التى تسفر عن صباحه الانور وتتنفس من نفحات الحبيب عن نفحات المسك الازفر أراقب النجوم وهى واقفة لا تتقلقل وأشاهد الفلك وقد عطل من المدار فلا يتخلخل وكان النجوم عيون طرقها الارق والسهاد وجفا أجفانها لذيذ الكرى والرقاد أوكأنها مجتمعة ثابتة لا يزول جمعها وثباتها وروضة أريضة لا يصوح زهرها ونباتها فأى كوكب نظرت اليه وجدته مقيما لا يبرح عن مكانه ومستقرا لا يغرب ولا يعزب عن اخوانه والثريا كأنها راحة تشبر الظلام لا يزول بقيسها مسافة شهور بل أعوام فكيف يرجى لليل العاشق زوال وكيف لا يتمنى الوامق اشراق الغزالة لميعاد الغزال

كأن الثريا راحة تشبر الدجى　　لتعلم طال الليل لى أم تعرضا
عجبت لليل بين شرق ومغرب　　يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

مع علمى بان الصبح مات بليله الذى أظلم فيه وعسعس وتحقق بانه لو كان فى قيد الحياة لكان تنفس لما رأيت النجم ساه طرفه والقطب قد ألقى عليه سباتا

و بنات نعش فى الحداد سوافرا أيقنت أن صباحهم قد ماتا

فبعدها من ليلة طال أمد عمرها وأربت على شهرها وحولها ودهرها وشكرالها اذا كان يومها موعد للوصال والهنا وسلما الى بلوغ الآمال والمنى فلم أزل أحييها وجدا وغراما وتميتنى تذكرا وهياما الى أن كاد الظلام يشف لونه الحالك ويتبسم ثغر صبحه الضاحك وبدت أعلام الصباح منشورة الرايات وسطعت أنوار النهار منصورة الآيات وأقبل الفجر مؤيدا منصورا وولى الليل مهزوما مكسورا وبدا صاحب الغزالة مشرق الانوار وفرق من شعاعها سبائك الذهب على سائر الاشجار

كأن شعاع الشمس فى كل غدوة على ورق الاشجار أول طالع

دنانير فى كف الاشل يضمها لقبض فتهوى من فروج الاصابع

(فرجعت) أسابق النظر الى ميعاد ذلك القمر واستصحبت معى ذلك الصديق الصادق والرفيق المرافق (فوصلنا) الى ميعاد جالب الارق والهموم وفاضح شمس النهار ولا أرضى أقول القمر فضلا عن النجوم وأنا أرسب فى الفكر وأعوم وقلبى يتململ و يتقلقل و يقعد فى الوجد و يقوم فوصلنا الى المنتزه الانيق والمحل الذى هو باللطافة والمحاسن خليق فما وقفنا على عين ولا أثر ولا ظفرنا بحس ولا خبر بل الماء يجرى و يتوجع بخريره والنواعير تئن لنواح بلبله وشحروره فاجرى من النواحى نوح النواعير دمعى فاطرقت للماء طرفى وأصغيت للدولاب سمعى وأنا أتعجب من تلك الناعورة المذعورة الحائرة وأنظر الماء فوق كتفها وهى عليه دائرة فعلمت انها تئن من لوعة الفراق لما فقدت قرينها فجعلت تعلل قلبها بلقائه وتدير فى الماء عيونها كانها تذكرت حالها وهى غصن يفهم التمايل و يدرى فغدت كلها عيونا على عهد أيام الصبا تجرى فصارت تعد من العجائب اذ تسير من غير مفارقة موضعها اذ لا رأس فى جسدها وقلبها ظاهر وعيونها فى أضلعها

وناعورة قد ضاعفت بنواحها نواحى وأجرت مقلتى دموعها

وقد ضعفت مما تئن فقد غدت من الضعف والشكوى تعد ضلوعها

والحمائم تبكي على موايس الاغصان في الرياض وتذري دموع الجول في تلك الخمائل والغياض فقاسمتني الغضا قسمة شوّهت خلقي وانشائي فجعلت غصونه في راحتيها وجمره في قلبي وأحشائي

أحمامة الوادي بمنعرج اللوى ان كنت مسعدة الكئيب فرجعي
فلقد تقاسمنا الغضا فغصونه في راحتيك وجمره في أضلعي

ولم أزل أخاطبها بلسان الشكوى والغرام وأغامزها بعين البلوى والهيام وهي تطارحني الاحزان والاشجان وتأتي من الالحان بالفنون على الافنان فخاطبتها بلسان حالي الحالي وأنشدتها بلسان قالي أتعرض للقالي

أحمامة فوق الاراكة بيني بحياة من أبكاك ما أبكاك
أما أنا فبكيت من ألم الجوى وفراق من أهوى فانت كذاك

وناحت فنحت بنواحها على الغصون وأحزنتها بتصاعد الزفرات وفيض الشؤن فصار بيني وبينها نسبة بالبكاء والاحزان وودواخاء اذ كل منا يبكي على الاغصان

رب ورقاء هتوف في الضحى ذات شجو صدحت في فنن
ذكرت الفا ودهرا ماضيا فبكت حزنا فهاجت حزني
فبكائي ربما أرقها وبكاها ربما أرقني
ولقد تشكو فما أفهمها ولقد أشكو فما تفهمني
غير أني بالجوى أعرفها وهي أيضا بالجوى تعرفني
أتراها بالبكا مولعة أم سقاها البين ما جرعني

فجلسنا ننتظر الوعد من الحبيب وقلبي قد تقطع من البكاء والنحيب (فقال) لي صاحبي أنا أتوجه الى محبوبك لتقديم قصتك وأجتهد في تفريج همك ان شاء الله وغصتك وأستنجزه الوفاء بالميعاد والله المستعان وعليه الاعتماد وآتيك به أو بالجواب وأفوز بالاجر في الجمع بين الاحباب (فقلت) لمثل هذا اليوم ادخرتك صاحبا وحميما ولمثل هذا اليوم أعددتك ظاعنا ومقيما فتوجه اليه وبالغ في الخطاب ولطف الالفاظ وسدد الجواب وتوسل الى المراد والمرام فمثلك لا يدل على صواب واستمنحه الوفاء فهو غاية المقصود والامل وأوجز في المقال لحبيبي عنده ملل

وأنت بحمد الله ذو فطنة ورتبة وصاحب توسل ودربة

فيا رسولى الى من لا أبوح به ... ان المهمات فيها يعرف الرجل
بلغ سلامى و بالغ فى الخطاب له ... وقبل الارض عنى عندما تصل
بالله عرفه عنى ان خلوت به ... ولا تطل فحبيبى عنده ملل
وتلك أعظم حاجاتى اليك فان ... تنجح فما خاب فيك القصد والامل
ولم أزل فى أمورى كلما عرضت ... على اهتمامك بعد الله أتكل
فالناس بالناس والدنياه مكافأة ... والخير يذكر والاخبار تنتقل

(فتوجه) صاحبى الى المحبوب بالرسالة وتركنى فى البستان على أسوأ حاله فمشيت فى جوانب ذلك الروض الاريض وأنا فى الهم الطويل العريض فما نظرت نرجسا الا وقلت هذا طرف الحبيب الناعس ولا رأيت غصنا الا ذكرت قده المائد المائس ولا وردا الا قطعت بانه خده الناعم ولا اقحوانا الا وتحققت بأنه ثغره الباسم وبقيت أجول فى تلك العراص وأطلب الخلاص ولات حين مناص وألوم نفسى تارة وأعذرها أخرى وأستنصر الصبر فلا أبصر له نصرا وكلما ذكرت الحبيب ذبت مكانى وكلما عاينت مكانه تضاعفت أحزانى وسال دمعى فى تلك العراص والرحاب وجاد بما لم يكن فى حساب السحاب فكفكفته تجلدا فما كف وسمته وقوفا فوقع وما وقف وأردت الانكار فخالف واعترف وتكرم وهو سائل حتى كانه من لجة البحر اغترف

أرى آثارهم فأذوب شوقا ... وأسكب فى مواضعهم دموعى
وأسأل من بفرقتهم رمانى ... يمن على يوما بالرجوع

كل ذلك وأنا ذاهب ذائب ونادم ونادب متضلع من ماء جفنى الساكب متطلع الى سرعة عود الصاحب لا أستقر بمكان واحد ولا أظفر بمساعف ولا مساعد بل تارة أستكن وأتجلد وتارة أنشد وأتنهد

ان تم ماجاء رسولى به ... غفرت ما أسلفه الدهر
وان وفى الحب بميعاده ... وبات عندى وله الامر
سمحت بالنفس جزاء له ... اذ لا يؤدى حقه الشكر

وأنا في ذلك على أعظم من حر النار من طول التطلع والترقب والانتظار وأستنشق ريح الصبا من جهة المحبوب وأستبشر بريحه مع ريحه حتى كانني يعقوب وأسر حتى بالطيف من رؤياه وأقنع حتى بالريح من هواه

أستودع الله أحبابي الذين نأوا وخلفوا في نيران التباريح
أستنشق الريح من تلقاء كاظمة لقد قنعت من الاحباب بالريح

كل هذا وعيني تجود وتجول وأنا متطلع الى عود الرسول (واذا) به قد فاد فريدا كئيبا وحيدا (فحين) رأيته على هذا الحال ليس معه بدر ولا غزال وقعت على الارض من قامتي وقامت في تلك الساعة قيامتي لكن طاب قلبي لما بدا متبسما وسكن كربي لما بدا مترنما (فقمت) مبادرا له واليه وعكفت على تقبيل كفيه وعينيه (وقلت) له بين لي حقيقة أمرك ودلني على خبرك وخبرك أين الحبيب أخبر عهدك به قريب واشف قلبا أقلقه الوجد وجفنا أغلقه البكاء والنحيب

من رآني قبلت عين رسولي ظن ان الرسول جاء بسولي
ان عينا قد أبصرت ذلك الوجه أحق العيون بالتقبيل

نبئني ما الخبر وأين النجم بل القمر وما فعل البدر وغصن النقا ومتى يدنو المزار ويحصل اللقا وما هذا الوجوم الذي يعتريك وما الذي يضحكك تارة وتارة يبكيك قل ولا تكتم فتيلا ولا نقيرا وأعد حديثك وكرره تكريرا

كرر حديثك قد تضوع ريحه مسكا وطاب على السماع صحيحه
وأعده حتى يشتفي من طيبه مضنى الفؤاد وصبه وجريحه
وحديثك المرفوع صله بمسمعي فعساه من ألم الفراق يريحه
وعساه يقطع مرسلا من أدمعي ويزيل معضل علتي ترجيحه
لو كنت تروي مرسلا من لوعتي لرويت منه ما يطول شروحه
اني امرؤ في الحب فرد شأنه قد شفني وأضرني تبريحه
خيم على الحب حتى انني خليله وكليمه وذبيحه

(فقال) توجهت من عندك الى مكانه فوجدته جالسا بين اخوانه وأترابه الاتراك الناصبين لمثلك شرك الاشراك فعلم اني رسول منك اليه فرمقني بطرفه وغمزني بعينيه

ففهمت المقصود فجلست ساكتا وبقيت فى تلك المحاسن واللطافة باهتا فلم أتمكن من الكلام سوى بالحواجب والعيون ولم أحادثه سوى باشارة الاصابع وغمز الجفون

غمـــزته بنـاظرى ولم أفـه بكلمـــة
أجابنى حاجبـــه لكن بنون العظـمة

(ولم) أزل على هذه الحالة مقيما هناك وأنا مجتهد على العود فيما فيه مناك وهناك فالتفت اليه أترابه الاتراك الناصبون لمثلك الاشراك وقالوا لابد من اصطيادك معنا هذا النهار والتنزه بالسرحة الى المساء والمسار فقال أجدنى لا نشاط لى فى الركوب اليوم ولا غرض لى فى السرحة أيها القوم فقالوا والله لابد من الركوب معنا هذه الساعة فانهض ولا تتوان فيد الله مع الجماعة فانت واصل حبلنا وجامع شملنا وأنت بدرنا ونحن كواكبك وأنت أعيننا ونحن حواجبك فان سرحت شرحت بطلعتك الصدور وان تخلفت كدرت الورود والصدور فاجبرنا معشر المماليك أيها المالك فوحياة رأسك لابد من ذلك فلم يمكنه الا اجابة سؤالهم بالقبول وأجراهم منه على خلق ألطف من نسمات القبول فشد حياصته وقلبى يتقطع ويذوب وقدم اليه جواده الاشقر للركوب وتحين غفلتهم وأتانى وحيانى فاحيانى فقال مرحبا بك وأهلا ورعيا لك وسهلا فتعظيمك واجب لمرسلك المتيم واكرامك متعين ولاجل عين ألف عين تكرم سلم عليه من جهتى أبلغ السلام وعرفه ما عندى من الشوق والغرام وانى لا أختار عنه عوضا و بديلا ولا أتخذ غيره صديقا وخليلا فجزاؤه أن يراعى جانبه و يواصل و يناضل عدوّه و يفاضل فهو فينا محب ونحن فيه أحب وما جزاء من يحب الا أن يحب لا تنسى محافظته على العهد والوداد ولذلك لا أخلف الميعاد فدعه ينتظر بالمكان المذكور فانا أحرص منه على الاتيان والحضور وليكن المكان خاليا من الاكدار صافيا من الرقباء والاغيار لا يشير الينا سوى المنثور باصبع وكف ولا يرمقنا سوى عيون النرجس المضعف ولتكن أنت معه فى هذا المكان فنعم الرجل أنت أيها الانسان وانى أتوجه من البستان الى داره وأرضيه جهدى كايثاره وأفوز بمنادمته ومفاكهته وأشاركه فى شرابه وفاكهته وأسقيه طورا بفمى وطورا بالاقداح وأشفيه بسقام عيونى المراض الصحاح وأحييه بمشاهدة جبينى المشرق الوضاح

وأبيت فى صدره معانقى من العشاء الى الصباح فهل يجب على أكثر مما ذكرت وهل يطلب منى فوق ما أشرت (فقلت) له لقد جاوزت الحدود فى الاوصاف وأنصفت غاية الانصاف فلم أملك اعادة الجواب ولا أطلت له بعدها فى الخطاب وسبقت اليك فوح النسيم لابشرك بطلوع الشمس فى الليل البهيم فقم على قدميك وتلق بالترحاب من قدم عليك وأنشد الابيات والامثال فى وصف هذا الحال

أهلا وسهلا بك من زائر ... يخجل نور القمر الباهر
أهلا وسهلا بك من مؤنس ... ينظر عن طرف الرشا النافر
رددت بالقرب زمان الصبا ... وطيب عيشى السالف الناضر
وعيشة ولت على حاجر ... حيا الحيا السكب ربى حاجر

فكدت أطير فرحا وسرورا ولولم أتماسك لصرت مثلا مشهورا وتضاعفت محبتى لصديقى وصار أنفس من نفسى فضلا عن شقيقى وعذب كلامه فى مسمعى وحلا وأزال عن القلب الهم وجلا وهزنى وأطربنى بطيب حديثه وأنسانى مالقيت من قديم النصب وحديثه

رسول الرضا أهلا وسهلا ومرحبا ... حديثك ما أحلاه عندى وأطيبا
ويا محسنا قد جاء من عند محسن ... ويا طيبا أهدى من القول طيبا
ويا حاملا ممن أحب سلامه ... عليك سلام الله ماهبت الصبا
لقد سرنى ماقد سمعت من الرضا ... وقد هزنى ذاك الحديث وأطربا
وبشرت باليوم الذى فيه نلتقى ... ألا انه يوم يكون له نبا
سيكفيك من ذاك المسمى اشارة ... ودعه مصونا بالجمال محجبا
أشرلى بوصف واحد من صفاته ... تكن مثل من سمى وكنى ولقبا

(فقال) لى ان سيوف المحبة تكلم القلب ولا تؤلم وقد سررت بهذا الكلام ومن سر فليؤلم فاخلع لى ماعليك بشارة بالفرح والفرج فقد أتيتك بميعاد سالب القلب والمهج (فقلت) له والله لا أرضى بخلع قلبى عليك باجمعه اذ به جعلتنى أهلا لمن لم أكن أهلا لموقعه

أهلا بمن لم أكن أهلا لموقعه ... قول المبشر بعد اليأس بالفرج
لك البشارة فاخلع ماعليك فقد ... ذكرت ثم على مافيك من عوج

(هذا) وقد كنت أجتهد فى اصلاح منزلى جهد الطاعة ولم يصدنى عن قصد البيت والقاعة قاعة وهيأت جميع المشروب والشموم والظاهر والمكتوم وحرصت على تحصيل الموجود والمعدوم فبينما نحن فى تلك الحالة التى هى بالوعد هنية والعيشة التى هى بالانتظار رضية واذا بجانب الروض قد أشرق بالانوار وتمايلت عجبا أغصان الاشجار وغنت صوادح الاطيار فرمقتا ننظر السبب الموجب لذلك وماهذا العنبر الذى ضوع المسالك فاذا الحبيب قد صدق فى الميعاد وأقبل يتمايل بقده المياد وبداير فل فى حلل الملاسة وشمس وجهه مشرقة فى صباح الصباحة والمحاسن تنشر فى غلائله والملاحة تقطر من شمائله (فحين) رأيته وهو مقبل قلت لدمع السرور أهمل أيها الدمع ولا تهمل

بكيت وقد بدا لى من بعيد ... يلوح بوجنتيه الجلنار
ففى خديه نار وهى ماء ... وفى عينى ماء وهى نار

فدفع الى من الفرح دفعات وصرت فى الاحياء بعد ان كنت فى الاموات وعاد القلب فى مستقره بعد القروح وطاب الجسد وطار حين عادت فيه الروح وقمت مبادراله واليه واضعا حر وجهى مكان قدميه

وقمت أفرش خدى فى الطريق له ... ذلا وأسحب أذيالى على الاثر

فهمت عند مشاهدة جماله وقد شغلنى حسنه عن السلام عليه وسؤاله فوقعت مبهوتا ذاهلا وقد أصبح دمعى باقلا فابتدرنى بالترحيب والتسليم وقابلنى بالتبجيل والتعظيم

وحياثم لاحظنى دلالا ... بوجه غزالة وعيون ريم
غزال كالصريم له جبين ... يهيم بحبه قلب الصريم
له قلب كان الصخر منه ... ويحسد خصره مر النسيم
بديع ملاحة يصبو اليه ... بأوّل لمحة قلب الحكيم
له خصر وطرف مثل جسمى ... سقيم فى سقيم فى سقيم

ثم رمقنى بطرفه الصحيح السقيم وابتسم عن ثغر يفضح الدر النظيم ثم شرع فى تقبيل يدى بالاشارة فسلبنى بذلك فصيح اللفظ والعبارة (فقلت) لقد أضحى غرامى فيك لى غريما وأمسى قلبى وحزنى ظاعنا ومقيما

غرامى فيك قد أضحى غريمى   وهجرك والتجنى مستطاب
كذا بلوى ملالك لا لذنب   وقولك ساعة التوديع طابوا

(ثم) قال بالله كيف وجدت نفسك بعدنا وهل عندك من الشوق كما عندنا وهل أحسنت تلقينا وليتك لقيت من الصبابة كما لقينا وكيف صرت حين قدمنا وهل عدمت الجلد كما عدمنا أم قتلك الوجد فاخرس لسانك وغلبك الهوى فسلبك بيانك خبرنى عن أصل ضمائرك واشرح لى كنه سرائرك فانشدت وقلبى طائر وعقلى حائم وحائر ووجدى جائد وجائر وطرفى ساهد وساهر ودمعى سائل وسائر

لم أنسه لما بدا متمايلا   يهتز من طيب الصبا ويقول
ماذا لقيت من الجوى فاجبته   فى قصتى طول وأنت ملول

فتبسم عن نظيم الدر المكنون ورمقنى بعين تحار فيها العيون وقال والله ان غيرك لا يراع ولا يراد ولا يرام وأنت عندى تطاع ولا تضار ولا تضام ولمثل ودك لا يقاس ولا يقال ولا يقام ولمثل سرك لا يذاع ولا يزال ولا يذام فان صدقت قول الوشاة فما ذا منك بجميل وان زعمت بانى مللت حديثك فبالله قل لى الى من أميل

صدقتم قول الوشاة وقد مضى   فى حبكم عمرى وفى تكذيبها
وزعمتم أنى أمل أحديثكم   من ذا يمل من الحياة وطيبها

أما أنا فشوقى اليك متزايد ونفسى لبعدك متصاعد ولومى بعد بعدك طويل ونومى من بعد غيبتك قليل ما أتيتك الا وقد ضاق صدرى من الفراق وسئمت من سيل الدمع المهراق فلو علمت ما بى لعجلت نحوى المسير والسباق وأتيتنى كسرعة البرق ويحل هنا ذكر البراق

فديتك لولا الحب كنت فديتنى   ولكن بسحر المقلتين رميتنى
أتيتك لما ضاق صدرى من الهوى   ولو كنت تدرى حالتى لرحمتنى

كيف صبرك بعد فراقى وكيف حالك بعد ركوبى وانطلاقى وهل رزقت مناما هجرناه أو عرفت قرارا أنكرناه وهذه الجملة والتفصيل أولى عندى من التطويل فان أنكرت دعواى فاستفت قلبك فهو عارف أو استقللت دمعا فشاهد دمعك الدافق الذارف وها أنا تحت أوامرك ونواهيك فاحكم فديتك حكم المالك على المماليك

لكن أصدقنى هل حلت عن مودتك الصافية وتغيرت عن محبتك الوافرة الوافية وهل رجعت عن محبتك الصادقة وهل قامت ألسنة السلو اليك ناطقة (فقلت) وقد أزعجنى بهذا الكلام وذاد عن جفنى لذيذ المنام

لا والذى سمك السماء بأمره قسما وتكفى هذه الاقسام
ماحلت عن ذاك الوداد وانه باق له عند الممات دوام

(فقال) اتبع الحق فى هذا المقام والمقال ولا تكن ممن حال عن ذا الحال فى الحال وقم بصبابات الهوى فى" لترشف كؤس الراح من فى" ولا يصدنك عن ذاك هجر وصدود واصعد للجو فى الجوى لتنال السعود فى الصعود (فقلت) لا تتعب نفسك فى الوصية بالغرام فاننى قائم فى الصبابة والهيام أتم قيام فان لم أقم بذلك فلا حظيت ببرد ثناياك وبرد ثناؤك ولا فزت ببرد رضابك وحلو رضائك

ان لم أقم بصبابات الهوى فيكا فلا ارتشفت كؤس الراح من فيكا
فيا مريق دمى من غير ماسبب ها قد رضيت به ان كان يرضيكا
لم يبق هجرك لى صبرا ولا جلدا ولم يدع فى كتمانا يجنيكا
فان أضلك منه ليل طرته فصبح غرته الوضاح يهديكا
يميل غصن النقا ان مال منعطفا وان رنا الفتات الظبى يعطيكا
ياثغره كان دمعى أبيضا يققا فبدلته يواقيتا لآليكا
وأنت ياخصره أعديت سقمك بى حقا لقد صرت بالى الجسم منهوكا
و بت تلدغ ياثعبان طرته قلبى فياليت انى بت حاويكا
يافتنة لو وقانى الحب وقعتها ما كان سرى بعد الصون مهتوكا
فلا تسلنى عن وجدى وعن قلقى بل سائل الدمع ان الدمع ينبيكا
هذى دموعى على حالى مترجمة وهذه ألسن الشكوى تناجيك

(فقال) صدقت أيها الصب الوامق والمحب الصادق لكن مع وجود المحبوب تسرع القلوب فى توددها وتقربها وفى غيبته ترجع الى تنفرها وتجنبها وهذه عادة القلوب فى تعنتها وتعتبها وما سميت القلوب الا لتقلبها (فقلت) له لسانى يقصر عن

محاجتك عند حضورك ويطول فى غيبتك بما أنت عليه من أمورك فلا يمكننى أتظلم وأنت غير مظلوم والله يعلم الظاهر من المكتوم

تحججى عليك اذا خلوت كثيرة ... واذا حضرت فاننى مخصوم

لاأستطيع أقول أنت ظلمتنى ... والله يعلم أننى مظلوم

(فقال) تزعم أنك مظلوم وأنا ظلمتك وأنك مسلوب وأنا سلبتك وتدعى أنى خالى من الاشجان والهموم وناء عن الاحزان والوجوم وقد حلفت لك ألف يمين وتجعلنى فى اليمين أمين فان كنت عندك غير صدوق وممن لا ترعى لديه الحقوق رجعت من حيث أتيت ولا يضمنى واياك ورب البيت بيت فامدد يدك أقبلها للوداع وأذيقك حرارة الفراق بعد لذة هذا الاجتماع ولا تطمع منى بعدها فى الوصال (فقلت) وقد تقطع قلبى بهذا المقال بالله لا تمل على مع الزمان الغادر ولا ترم بسهم بعادك فؤادى الطائر فلقد عجبت من صدودك والجفاء من بعد ذاك الوداد والوفاء حاشا شمائلك اللطيفة ان ترى على عونا وحاشا أخلاقك الشريفة أن تكون لونا وتصير لونا

انى لاعجب من صدودك والجفا ... من بعد ذاك القرب والايناس

حاشا شمائلك اللطيفه أن ترى ... عونا على مع الزمان القاسى

(فقال) والله لقد ندمت على حضورى اليك وعلى انجاز الوعد بالعطف عليك لان باطنك غير سليم وحبك غير ثابت ومقيم (فقلت) لا تنسبنى الى عدم المودة واستفت قلبك فلا تتهمنى فوالله لا أسلو هواك وحبك فياليت قلبك مثل عطفك وياليت ودك مثل ردفك فبالله ارحمنى فقد صرت من الشفا على شفا ولا تبدل حلاوة الود بمر الجفا

لو كان قلبك مثل عطفك لينا ... ما كنت أقنع من وصالك بالمنى

لكن خصرك مثل جسمى ناحل ... وكلاهما متحالفان على الضنى

يا هاجرى ظلما بغير جناية ... ماهكذا شرط المحبة بيننا

قيدت طرفى مذ تسلسل دمعه ... وحبست نومى فلا سير اذا أنا

لا تحم قدك عن حنايا أضلعى ... كم لذة بين الحنا والمنحنى

علمتنى كيف الغرام ولم أكن ... أهوى الهوى فرأيت صعبا هينا

(فقال) يهون ان شاء الله ولا يصعب ويرغب القلب فى الاجتماع ولا يعزب ويطلع بدر اللقاء فى افق الوصال ولا يغرب فلم اعاتبك الا من باب اللعب والمجون وان اتخذت صاحبا سواك انى اذا لمجنون فوالله ليس فى قلبي محبة لسواك وان اظلمت بالفراق صباحك لاشرقن بالوصال مساك وقد كابدت ايها الصب الصبابة ولم اصرح وعندى من الصبر لبابه

الفنا التجافى واطمأنت قلوبنا عليه وهذا آخر العهد بالصبر

(فلما) سمعت در كلامه وفهمت رونق نظامه زاد وجدى وغرامى وتضاعف حنينى وهيامى وكدت اطير من الفرح والسرور وكاد فؤادى يلحق بملحقات الطيور (فقلت) يا قرة العين الساهرة وقرار القلوب النافرة شفيت نفسا اشرفت على التلف وانعشت قلبا اودى به وارد الاسف ورفعت املا كان فى الحضيض فنال الشرف واحييت روحا اماتها الهجر والصدود ونفسا لازمها الهم فلا يجوز ان يجوز عليها ولا يجود فاستدركت ما بقى من رمقها وخلصتها من لوعاتها وحرقها وسقيتها فعادت مخضرة الاوراق يانعة الازهار متمايلة بنسمات الوصال وقرب المزار لما رايت الوجد قد شفنى وخاننى من بعدك الصبر

مننت بالوصل على مغرم ذاب اشتياقا فلك الاجر

(فقال) خلنا من زخرف الاقوال فلك المنة علينا فى جميع الاحوال وقم بنا الى الدار واخلها من الرقباء والاغيار وحظى فى ذلك اوفى واوفر ونصيبى منه اقوى واكثر فاستعد لوصالى فنعم البدل انا من خيالى فقد تبلج الليل الدامس وابتسم ثغر الدهر العابس وحضر الحبيب وغاب الرقيب وقهقه العيش بعد القطوب ولم تبق حاجة فى نفس يعقوب فقم بنا فدتك النفس فقد اقبل السعد وولى العكس (فأمرت) صاحبى بالتوجه الى الدار لترويق العقار وتزويق العقار ومشيت انا والحبيب معا والسعد قد اقبل نحو وسعى فوصلنا الى المنزل وقت الغروب وقد زال ما على القلب من الوان الكروب فأضاء الافق من سنا نوره وسلب الليل لباس ديجوره

فوالله ما ادرى احلام نائم المت بنا ام كان فى الركب يوشع

(فلما) رأيت المحبوب قد حصل وخضاب الفراق قد نصل بكيت بدمع أجراه الفرح والجذل وأطلقه السرور وفسح وهمل (فقال) ماهذا البكاء والنحيب وقد عالج الداء الطبيب وغاب العاذل والرقيب وواصل المحب الحبيب

فاجبته لما رأيتك زائرى ... وسمحت لى بعد النوى بتدانى
طفح السرور على حتى أنه ... من عظم ماقد سرنى أبكانى

فدخلت أمامه الدار ونعمت عيشا بالجار وكدت ألم فى المساء بالمسار حتى شممت درك الامانى والاوطار فجزيته خيرا اذ جبرنى بمزاره وبقيت أقبل يده وأمسح خدى بسقيط غباره وبهت فى لطفه الذى عليه منه أغارنى ونوه بذكرى والافن أنا حتى تعنى وزارنى

جزى الله بعض الناس ماهو أهله ... وحياه عنى كلما هبت الصبا
حبيبا لاجلى قد تعنى وزارنى ... وماقيمتى حتى مشى وتعذبا
وفى لى بوعد مثله من وفى به ... ومثلى فيه عاشق هام أوصبا
فأنقذ عينا بالدموع غريقة ... وخلص قلبا بالجفاء معذبا
سأشكر كل الشكر احسان محسن ... تحيل حتى زارنى وتسببا

(فلما) استقر به المجلس أعجبه تركيبه وراقه أرجه وطيبه فقدم لنا الاكل على خوان الاخوان عليه من الاطعمة ألوان وناهيك بخوان قد أعجز فى وصف ماعليه فصاحة الالسن وجمع من المآكل ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين والاختصار أولى عندى من وصف الطعام لان الاكل أقل من أن يطول فيه كلام حتى اذا مد الليل رواقه وألقى فى بحر الجوزاء أطواقه أشعلنا شموع الكافور عليها من فتات العنبر حباب فغدت تلك الشموع يبدو منها العبير عنبرها التهاب وتشير الى الدجى بلسان أفعى فيشمر ذيله طلبا للذهاب

وصحيحة بيضاء تطلع فى الدجى ... صبحا وتشفى الناظرين بدائها
شابت ذوائبها أوان شبابها ... واسود مفرقها أوان فنائها
كالعين فى طبقاتها ودموعها ... وسوادها وبياضها وضيائها

ثم أحضرت أنواع الرياحين وتغاليت فى الجمع بين الورد والياسمين وفرشنا سفر لمدام فتحدقت نحوها أحداق الاقداح بعد فتح المسام ثم أتينا بسلاف أرق من الماء

وأجرى من الهواء وأنور من اللهب وأحسن من الذهب وأسلس من النسيم وأصفى من التسنيم وأشد اشراقا من الشمس قبل المغيب وأرق من دين المحب وخصر الحبيب أقول له قد رق عيشي والصبا وخمرى وكاساتى وصوت الذى غنى

فقال الذى أهوى وخصرى نسيته فقلت له والله قد جئت فى المعنى

وتضاعفت المسرات بوجود القرقف وان كان رضاب الحبيب أشرق وأشرف لكن الجمع بينهما نهاية الارب وغاية القصد والطلب فلقد تقنعت بمر الصهباء وحلو الكلام وتعصبت بحديث الحبيب وعتيق المدام

وانى من لذات دهرى لقانع بحلو حديث أو بمر عتيق

هما ماهما لم يبق شىء سواهما عتيق مدام او حديث صديق

وأتينا بمناديل الشرب برسم مسح الصهباء عن الشفاه ووضعنا على ركبنا نفائس الفوط على عادة الشرب والسقاه وبعثنا أرواح الراح فى أجسام الاقداح وسال دم الزق فى تلك البواطى وساح وزوجنا ابن الغيوم بابنة الكروم فادخلا حتى اتفقا على اطلاق الهموم فيا له مجلسا ما فيه ساع سوى ساقى المدام ولا مع الاحباب سوى الريحان نمام ومجلس راق من واش يكدره ومن رقيب له باللوم الممام

مافيه ساع سوى الساقى وليس به بين الندامى سوى الريحان نمام

(ولم) يزل المحبوب يعاطينى الكاسات فاقصد مكان فيه من فيه وقد رقت وراقت فلم أدر أهى فى المدام أم المدام فيه واشتبه الامر على ووقعت فى الوسواس فكأنما كاس بلا خمر أو خمر بلا كاس

رق الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتشاكل الامر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

(فقال) لى المحبوب وقد سقانى ومن داء البعاد شفانى اشرب ولا تخش من الاوزار فقد أمكنك المحبوب وزار وأطفئ بنار المدام فرط همك وكربك ولا تخش من الاوزار فاوراق كرمها أكف تستغفر الله لذنبك

صل الراح بالراحات واغنم مسرة بأقداحها واعكف على لذة الشرب

ولا تخش أوزارا فاوراق كرمها أكف غدت تستغفر الله للذنب

(فقلت) له مرسومك أحق أن يطاع ويمتثل وخدمتك أيها الملك لا تقابل بالملل (فقال) قد وجب حقك فما لنا من بدل فتنقل مني على المدام بلذيذات القبل فجعل يشرب ويسقيني فضله وأشكر بره العميم وفضله فسكرت من ريقته ومدامه ودهشت من غصن البان وقوامه وسار غرامه في سائري لما صار منادمي ومسامري

تأمل من خلال الشرب وانظر بعينك ما شربت وما سقاني

تجد شمس الضحى تدنو بشمس الى من الرحيق الخسرواني

(فطبنا) وطربنا وشرهنا وشربنا وغردت مناطق طيورنا وضعف الهم بمضاعفة سرورنا وفاح العنبر بين أيدينا من المجامر وراح النصب وهو علينا مخامر واقبلت طلائع السعد في جحافل وعساكر ودقت كاساتها لكؤسنا ورقصنا بقلوبنا ورؤسنا واستنطقنا ألسن عيداننا وكدنا نطير ونحن في مكاننا (فقال) لي المحبوب وهو ينادمني وبعينيه الوقاح يغازلني تمتع بشبابك واقطعه من الطيبات نهبا وان أتاك شيطان الهموم فاقذفه بأنجم الصهبا

متع شبابك واستمتع بخدمته فهو الحبيب اذا ما غاب لم يؤب

والهم للنفس شيطان يوسوسها فارجمه من أنجم الصهباء بالشهب

(فقلت) له لا أخالفك في أوامرك ولا اعصيها وامضي الى آرائك فأقضيها ولا اقصيها فلقد صار المدام عندي قريبا من رضابك لامتثال اوامرك والرضا بك لانني اهواك واهوى هواك. ولا اطلب غيرك ولا اريد سواك واستشهد لك من الآي والاشعار بانني ابيع العقار لحسو العقار

احسن الاشعار عندي انف بالخمر الخمارا

والذ الآي عندي وترى الناس سكارى

ولم ازل آخذ ملآن واعيد فارغا والقرقف والرضاب قد اسكراني وبالغا فحييت باقسام ثلاثة في ذلك المقام ازالوا العقل فهاج القلب وهام السرور الزائد والعشق القائد والتزام المدام

ما اطيب وقتنا واهنا والعاذل غائب وغافل

عشق ومسرة وسكر والعقل ببعض ذاك ذاهل

والورد على الخدود غض   والنرجس فى العيون ذابل
والعيش كما احب صاف   والانس بمن احب كامل

فزحفنا على جيش الهموم بكاسات الراح فأتى السرور لما هزم الشرور راح وتذكرت دوسها بالارجل فأخذت ثارها من الرؤس وكادت تطير لولا شباك الحبب فى رؤس الكؤس

راح زحفت على جيش الهموم بها   حتى كأن سنا الاكواب رايات
تحول حول اوانيها اشعتها   كأنما هى للكاسات كاسات
تذكرت عند قوم دوس ارجلهم   فاسترجعت من رؤس القوم ثارات
كأنها فى اكف الطائفين بها   نار تطوف بها فى الارض جنات
من كل اغيد فى دينار وجنته   توزعت فى قلوب الناس حبات
مبلبل الصدغ طوع الوصل منعطف   كأن اصداغه للطف واوات
ترنحت وهى فى كفيه من طرب   حتى لقد رقصت تلك الزجاجات
و بت اشرب من فيه وخمرته   شربا يشن به فى العقل غارات
و ينزل اللثم خديه فينشدها   هى المنازل لى فيها علامات
سقيا لتلك الليلات التى سلفت   كأنما العمر هاتيك الليلات

ولم نزل نميت الدنان ونحيي النفوس ونزمر بالكؤس ونرقص بالرؤس ونأخذ اوتارا لهم باوتار العود ونستنشق نسمات العنبر والعود ويحاسبنى على اللثم فاغلط فى العدد واعود

سألته التقبيل فى خده   عشرا ومازاد يكون احتساب
فمذ تعانقنا وقبلته   غلطت فى العد وضاع الحساب

(وصرت) اتذكر ايام الفراق فآخذ الثأر بساعات التلاق والمحبوب قد رمى العمامة عن راسه وقطب وجهه عند قهقهة كأسه وصاحبى معنا جالس فى المقام برسم قط الشموع وصف الزهور ومزج المدام (فقال) بالله اميلك الى هذا او القينات اعظم فاطلعنى منك على المقصود وأظهرنى على المكتتم (فقلت) ان كان حب سلمى للعيش أسلم وعشق نعمى للعين أنعم فقد تقنعت لكن بالحبيب المعمم

أحببته متعمما ومعنى   أبدا على بظلمه يتعصب

فعنـدى من هواه ماطلع النفس مع النفس ومن السرور بلقائه ما أضاء له بين جوانح الصب قبس

قد سبانى من بنى الترك رشا جوهرى الثغر مسكى النفس
قد خلى شمسا وغصنا ونقا فى ابتهاج وارتجاج وميس
ضيق العينين تركيهما واسع الجبهة خزى المجس
أصبحت عقرب صدغيه معا لجنى الورد فى الخد حرس
وغدا ثعبان دبوقته جائلا فى ظهره مما أحس
لست اخشى سيفه أو رمحه انما ارهب لحظا قد نعس
اختلسنا بعد هجر وصله ان اهنا العيش ما كان خلس
لست أنساه وقد اطلع من خده نارا أضاءت فى الغلس
ورمى العمة فالتاح لنا فرق شعر دق معنى ما التبس
لمس الكأس لكى يشربها فاعترته هزة لما لمس
ثم ادنى جوهرا من جوهر وتحسى الكاس فى فرد نفس
وغدا يمسح بالمنديل ما ابقت الخمرة فى ذاك اللعس

(ولم) نزل على هذه اللذة الشافية الغانية والعيشة الصافية الصافية حتى انتصف الليل واقبلت عساكر السعد بالرجل والخيل فأمرت صاحبى برفع المدام وتجهيز المرقد للمنام فرفع الاوانى فى الحال واقبل على ذلك الشان وشال وعلق فى المرقد نفحات المسك الاذفر واطلق فيه مباخر الند والعنبر (ثم) قال أين ترسم لى ان أبيت فقلت ثم عندنا لكن خارج المبيت فأنت ممن تحققنا منه المروءة والشفقة فاخرج عنا وردعنا ورد الباب بالحلقة ففعل ما امرناه وخرج ولم يبق فى الصدر هم ولا حرج (فقلت) لمحبوبى أما تقوم بنا لننام واتنعم بتقبيل الثغر واعتناق القوام (فقال) لى اقوم ولكن العناق حرام (فقلت) فى عنقى تكون الاوزار والآثام

فقام ينهض والصهباء تقعده سكرا وحاول أن يسعى فلم يطق
وقال لى بفتور من لواحظه ان العناق حرام قلت فى عنقى

(فقال) أستغفر الله من الفجور واللغط ومن وقوعك أيها الانسان فى الغط (فقلت)

لا تظن أن محبتك من المعاصى والسيآت ولا تخل ان صحيفة عاشقك كسواد خيلانك والحسنات واعلم أن هواك من أفضل الفضائل وأحسن القربات

أستغفر الله الا من محبتكم فانها حسناتى يوم ألقاه
فان زعمتم بان الحب معصية فالحب أحسن ما يعصى به الله

فقم بنا فدتك النفس نجعل الشك يقينا ونستنجد بالعناق لعل العناق يقينا فمسكت يده وقمت الى البيت بصدد الاعتناق فيه والمبيت فتجرد من قماشه الا من قميص فضى وطاقية فوق جبين مضى فاضطجعنا معا فى لحاف واحد وتوسدت منه بمعصم وساعدنى منه بساعد

وحللت بند قبائه عن بانة هيفاء تحكم الغصون وتدعى
وأخادع الارواح من أنفاسها كتما ويأتى المسك غير تضوع
حتى لو أن الليل ينشد بدره فى تمه لاصابه فى مضجعى

ولم أر أحلى من معانقته ولا ألطف من موافقته فالتزمته حتى صرنا كواحد وساعده مساعف لى ومساعد

ولما زار من أهواه ليلا وخفنا أن يلم بنا مراقب
تعانقنا لاخفيه فصرنا كأنا واحد فى عقل حاسب

(وكلما) التزمته زاد مابى من الحنين والشوق وكلما لثمته قادنى الوجد اليه بالسوق فلو اتحدنا وهولى معانق لقلت معاند ولو مازجت روحى روحه لقلت ادن منى أيها المتباعد

أعانقه والنفس بعد مشوقة اليه وهل بعد العناق تدان
وألثم فاه كى تزول حرارتى فيشتد ما ألقى من الهيمان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله سوى أن يرى الروحين يمتزجان
ولم يك مقدار الذى بى من الهوى ليشفيه ما تروى به الشفتان

أتذكر ليالى الهجر بطولها وما أربت فى الطول على شهرها وحولها ونظرت الى البدر فى السماء وليس له عندى بهجه ومثلته ومحبوبى فكان تفضيل المحبوب أوجب وأجه وقلت أخاطب الليل وأنا صدوق اللهجه

ليل الحمى بات بدرى فيك معتنق وبات بدرك مرميا على الطرق

شتان ما بين بدر صيغ من ذهب　　وذاك بدري و بدر صيغ من بهق

(وصرت) اهصر قده القويم وألثم ثغره النظيم فاستحكم الفرح والسرور وكاد يشرق على وجه الارض نور وخلعنا العذار ونبذنا الوقار وتدانت القلوب وساعد المحبوب وحصل المقصود والمطلوب وانشدت ولى ذاهل والسرور آهل

رعى الله ليلا ضمنا بعد فرقة　　وأحيا فؤادى من غرام معذب

فبتنا جميعا لو تراق زجاجة　　من الراح فيما بيننا لم تشرب

فيالله ما ألذ التزامه واعتناقه وما أكثر اشفاقه بالصب وارفاقه فلقد سكرت من طيب شذاه عند العناق وساق القلب الى النعيم بالتفاف الساق بالساق

عانقته فسكرت من طيب الشذا　　غصنا طيبا بالنسيم قد اغتذى

نشوان ماشرب المدام وانما　　أضحى بخمر رضابه متنبذا

كتب الجمال على صحيفة خده　　ياحسنه لا بأس أن يتعوذا

أضحى الجمال بأسره فى أسره　　فلاجل ذاك على القلوب استحوذا

لا أنتهى لا أنثنى لا أرعوى　　عن حبه فليهذ فيه من هذى

والله ماخطر السلو بخاطرى　　مادمت فى قيد الحياة ولا اذا

انى ليعجبنى تلافى فى الهوى　　و يلذلى ماقد لقيت من الاذى

(وقد) جرينا فى ميدان الهوى والخلاعة وبذلنا فى طاعة الهوى جهد الاستطاعة وعصينا الوقار والنهى و بلغنا كل قلب ماشتهى وأعطينا النفوس غاية أمانيها وسلمنا قوس التصابى الى باريها واستعذبت ريقته فلم أفتر من الرشف واستطيبت تقبيله فما غفلت عن ذاك لحظة طرف فجعلت أقبله وأنوه فى العادة عن العد فيقول أما تحسب قبلك التى لا توصف ولا تحد

وغدا ينادمنى وكاس حديثه　　اشهى الى من الرحيق واطيب

قال احسب القبل التى قبلتنى　　فأجبت انا أمة لا نحسب

فشكرت تلك الليلة التى جاءت به بعد شحها و بخلها وتداويت بالعيون التى رمتنى بنبلها ونجلها فيالله ما كان أطيبها وأقصرها واحسنها واخصرها ففى راحتى بقيه من طيب ذلك الشذا العاطر وفى فمى حلاوة من ذلك الريق الشهى الطاهر

وجاد الزمان به ليلة ... وعما جرى بيننا لاتسل

فانحلت قامته بالعناق ... وذبلت مرشفه بالقبل

وها أثر المسك في راحتي ... وهاك في فيه طعم العسل

فجعلت أشره في التقبيل وهو لا يمتنع وأردع النفس عن تكراره وهي لا ترتدع وا كفكف عبرة السرور وهي لا تنقطع حتى عاد خاتم فيه فيروزجا وهو لا ينكره بل كلما قصدت قبلت دموجا

حملت خاتم فيه فصا أزرقا ... من كثرة اللثم الذي لم أحصه

لولاه ماعلم الرقيب فياله ... من خاتم نقل الحديث بفصه

فرعاها الله من ليلة ما كان أعظمها وأعزها وأقصرها وأخصرها وأبزها قلت فيها لقلبي أتعرف ياقلب من سمح لك بعد العناء بالعناق وتدرى من أباحك لف الساق بالساق ومن ذا الذي يأتى من لطيف العتاب بما يلين الحجر ويبدى من المقال ما يطيب به رعى السهر بالسمر رعى الله ليلة وصل حلت ... وما خالط الصفو فيها كدر

أتت بغتة ومضت سرعة ... وما قصرت بعد ذاك القصر

خلت عن رقيب وعن حاسد ... ولم تك الا كلمح البصر

بغير اختيار ولا كلفة ... ولا موعد بيننا ينتظر

فقلت وقد كاد قلبي يطير ... سرورا بنيل المنى والوطر

أيا قلب تعرف من قد أتاك ... ويا عين تدرين من قد حضر

ويا قمر الافق عد راجعا ... فقد بات في الارض عندى قمر

ويا ليلتى هكذا هكذا ... وبالله بالله قف ياسحر

فكانت كما أشتهى ليلتى ... وطاب الحديث وطال السهر

ومر لنا من لطيف العتاب ... عجائب ما مثلها في السير

خلونا ومابيننا ثالث ... فاصبح عند النسيم الخبر

وصرت ألاعب المحبوبَ وأسامره وأناغيه وأداعبه وأساهره ولم أقض ليلة مثلها في العمر ولا نالها ذوعقل ولا غمر قطعتها هياما وسهرا ولا ذقت فيها مناما ولا كرى

لا أعرف النوم في حالى جفا ورضا ... كان جفنى مطبوع على السهد

فليلة الوصل تمضى كلها سهر وليلة الهجر لا أغفو من الكمد

وكلما جاء الكرى يعبث بجفونه النواعس أوقظه بمعانقة قده المائس وأمنعه النوم بمسامرته ومساهرته وأفوز عند مساهدته بمشاهدته وقلت لعينيه كللتم بالنهار فرقدتم وأصبتم قلب المستهام بالسهام فجرحتم

وفتاك اللواحظ بعد هجر دنا كرما وأنعم بالمزار

وظل نهاره يرمى بقلبى سهاما من جفون كالشفار

وعند الليل قلت لمقلتيه وحكم النوم فى الوجنات سارى

تبارك من توفاكم بليل ويعلم ماجرحتم بالنهار

ولم أزل فى تلك النعمة العظيمة والمنة الجسيمة حتى رق عمود الصباح وأعلن الداعى بحى على الفلاح وناحت الاطيار فى الاسحار فتصدع القلب للفراق وطار وتحققنا وفاة ليلتنا الجانحة الناجحة ومصادفتها الحمام لما سمعنا من الحمام فى كل ناحية نائحة

وأنذرت بوفاة الليل ساجعة كأنها فى غدير الصبح قد سبحت

مخضوبة الكف لا تنفك نائحة كأن أفراخها فى كفها ذبحت

(فقال) لى المحبوب أما ترى الصبح يحسدنا على التآلف والوصال حتى سطا علينا وصال (فقلت) ان عندى من ذلك قلقا وضجر فقال ألا تراه من الغيظ قد انفلق وانفجر

قلت وقد عانقته * عندى من الصبح قلق قال وهل يحسدنا * قلت نعم قد انفلق

وطال نوحى حين أتانا الصبح يجر ذيله وطار قلبى لطيران تلك الليله وتذكرت تلك الليالى الطوال وقصر ليلة القرب والوصال فاخذت العين فى البكاء والارسال وأخذ القلب فى الحنين والاعوال فلم أر ليلة أطول من احيائها وسهرها ولا أقرب مما بين عشائها وسحرها

يا ليلة كاد من تقاصرها يعثر فيها العشاء بالسحر

تطول فى هجرنا وتقصر فى الوصل فما تلتقى على قدر

تذكرت قيام الحبيب من صدرى فعدمت قلبى وسلبت صبرى (فقال) لى انى عازم على الرحيل ومسارع وقد أودعتك لمن لا تخيب لديه الودائع وقبل يدى وانتصب للرحيل فتضاعف ما بى من البكاء والعويل (فقلت) قبل فمى فانى اليه أشوف وأشوق وهو

للصب أرفد وأرفع وأرفق وأنشدت وقلبي في الجحيم مخلد وأنا أبكي وأنحب وأنوح وأتنهد أتذكر ليلتي المنعمة بانواع اللطائف والتحف وغبطتي المستحيلة بالاسى والاسف وافى وقد أبدى الحياء بوجهه وصدوده في القلب نار تحرق

أمسى يعاطيني المدام وبيننا عتب أرق من النسيم وأروق

حتى اذا عبث الكرى بجفونه كان الوسادة ساعد والمرفق

حتى بدا فلق الصباح فراعني ان الصباح هو العدو الازرق

فهناك اوفى للوداع مقبلا كفي وهي بذيله تتعلق

يامن يقبل للوداع أناملي انى الى تقبيل ثغرك أشوق

(فتولى) وتلوى وتفرد وتثنى وأجرى في المعنى على ذلك المعتاد مع المعنى فعلم اغصان النقا كيف تميد وتميل وعلمت اناورق الحمام كيف تنوح وتطيل

تثني واغصان الاراك نواضر ونحت واسراب من الطير عكف

فعلم بانات النقى كيف تنثني وعلمت ورقاء الحمى كيف تهتف

وراح ومضى وتركني على جمر الغضا وغادر قلبي بنار حرى وتداشغل واشعل وقال لابد من زيارتك ان كان في العمر مهل فاخذ القلب معه وسار فبقيت لا اعرف الفرح والمسار فاودعته المهجة وقت الوداع فشاع الوجد عليها وزاع ورمى القلب لتذكاره وبعده بحرقتين وقسمت ادمعي عليه فرقتين

ساروا وسار القلب أثر حمولهم رهن الصبابة لا يفيق ولا يعى

اودعتهم مذودعوني مهجة فغدوت فاقد مودعي ومودعى

وقسمت دمعي فرقتين فشطره للظاعنين وشطره للاربع

(فجاءني) صاحبي عقب فراقه فوجدني باكيا لبعده وانطلاقه (وقال) تهنئك ليلتك الغراء وعيشتك الخضراء (فقلت) والله ذهب ما كنت فيه من السرور وقد وقعت الآن في أضيق الامور فلودام لى الوصال الفي عام على التحقيق ما كان يفي بساعة التوديع والتفريق

يامن سلبوا بينهم مجموعي قلبي وحشاى ذاب بالتقطيع

لودام لى الوصال الفي سنة ما كان يفي بساعة التوديع

و بقيت اتذكر ليلتي فابكي وانوح واغدو في عرصات الدار واروح فجزى الله عني تلك الليلة أفضل الجزاء وجعل حظها من قمرها أوفر الاجزاء فلقد كانت قصيرة بالقرب والوصال ولولا طيها لكانت تعد من الليالي الطوال

جزى الله بالحسنى ليالي أقبلت ... الينا بايناس الحبيب المسامر
ليالي كانت بالسرور قصيرة ... ولم تك لولا طولها بالقصائر
فيالك فضلا كان وشك انقضائه ... كزورة طيف أو كنغبة طائر

وها أنا أتمنى عود ليلتنا السالفة لان قلبي بها دنف وروحي عليها ناطفة ودمعي في صحن خدي سكب ونفسي بالبعاد تالفة وقد صرت بعدها تبعا وأنا في الحقيقة خاص و بقيت لفقدها متيما ولات حين مناص فلو عادت تلك الليلة لأحيت ميت الاحياء فيالله ما أعجل ما انقضت تلك بالوصال فلقد قنعت منها اليوم ان نلت ليا لها بالخيال

عودي على ولو كلمح الناظر ... ليعود لي زمن الشباب الناضر
كل الليالي الماضيات خلاعة ... تفدي نعيمك ياليالي حاجر
ما كنت في اللذات الا خلسة ... سمحت بها الايام سمحة غادر
كان الصبا منها أرق من الصبا ... وألذ من غفوات عين الساهر
آها على أيام نجدانها ... أيام أفراح وعصر بشائر
ما كنت أقنع بالتواصل منهم ... واليوم أقنع بالخيال الزائر

فلقد أضحى البعاد بديلا من التلاقي وشؤن الجفون تفيض من آماقي حتى تبدلت بالنعيم جحيما و بالخضرة هشيما و بالعيان عتابا و بالعذوبة عذابا و بالوصال بعادا و بالعناق عنادا و بالكسب خسرانا و تغبينا و بالكوثر زقوما وغسلينا

أضحى التنائي بديلا من تدانينا ... وعز عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم و بنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقا اليكم ولا جفت أماقينا
حالت لفقدكم ايامنا وغدت ... سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضي علينا الاسى لولا تأسينا
لو يسبق العهد منكم للسرور رفا ... كنتم لارواحنا الاريا حينا
ان الزمان الذي قد كان يضحكنا ... أنسا بقربكم قد عاد يبكينا

غيظ العدى مذ تساقينا الهوى فدعوا   بأن نغص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقودا بانفسنا   وانبت ما كان موصولا بأيدينا
لا تحسبوا ان بعد الدار غيرنا   يا طالما غير النأى المحبينا
والله ماطلبت أرواحنا بدلا   منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
فيا نسيم الصبا بلغ تحيتنا   من لو على البعد حيا كان يحيينا
يا صرخة البين كم فتت من كبد   ويا منادى الاسى كم ذا تناديبا
ويا غرابا ببعد الدار خبرنا   فقدت الفك كم بالبين تنعينا

فيا الله ما كان أحلى قربه ووصاله وما أسرع نأيه وارتحاله فصرت بعده أجرد الهم للهمم ولا أجيب العذال للصمم وأصبو الى أجفانه المراض الصحاح وأدخل منها فى المضايق الفساح

نعم فى جفون الترك للنفس صبوة   وللقلب فى تلك المضايق مدخل
تجرح قلبى تارة بعد تارة   وتشهد أنى عاشق فتعدل
ورب عذول لامنى فتركته   يقول وقلبى بالصبابة يفعل

وها أنا أرجو من كرم الله اخضرار عود العود وانسكاب سحاب الوصل بالجودة والجود لاشرح الصدر بليلة كالماضية وأقطع حيازيم البعد بأسياف جفونه الماضية فاننى واثق منه بالوعد الوفى وأرجو اظهار اللطف بلطف الله الخفى ويسكن بزلال ريقه ما سكن فى القلب من الظما وينقطع منى الدمع بالوصل ما همع وهمى ويزول بالقرب ما تم ونم من الغرام ونما وأرجو ذلك عندما أبدت العينان عندما ولا أقنط من ذلك وان كان البعاد موجودا والقرب معدما ولا أيأس من أنس اللقاء فقد يجمع الله الشتيتين بعدما لان قلبى واثق منه بكل جميل وعنده لى من الحب ما يعجز عن حمل جملته جميل ولقد أصبت ساعة الفراق مما أصبت من القلق وأبدت منه العيان عينين يوقدان ما فى الاحشاء من الحرق واختار كل منا توديع روحه ولا يفارق الخل ويودعه واستودعه قمرى الذى غدا وفلك الازرار مطلعه

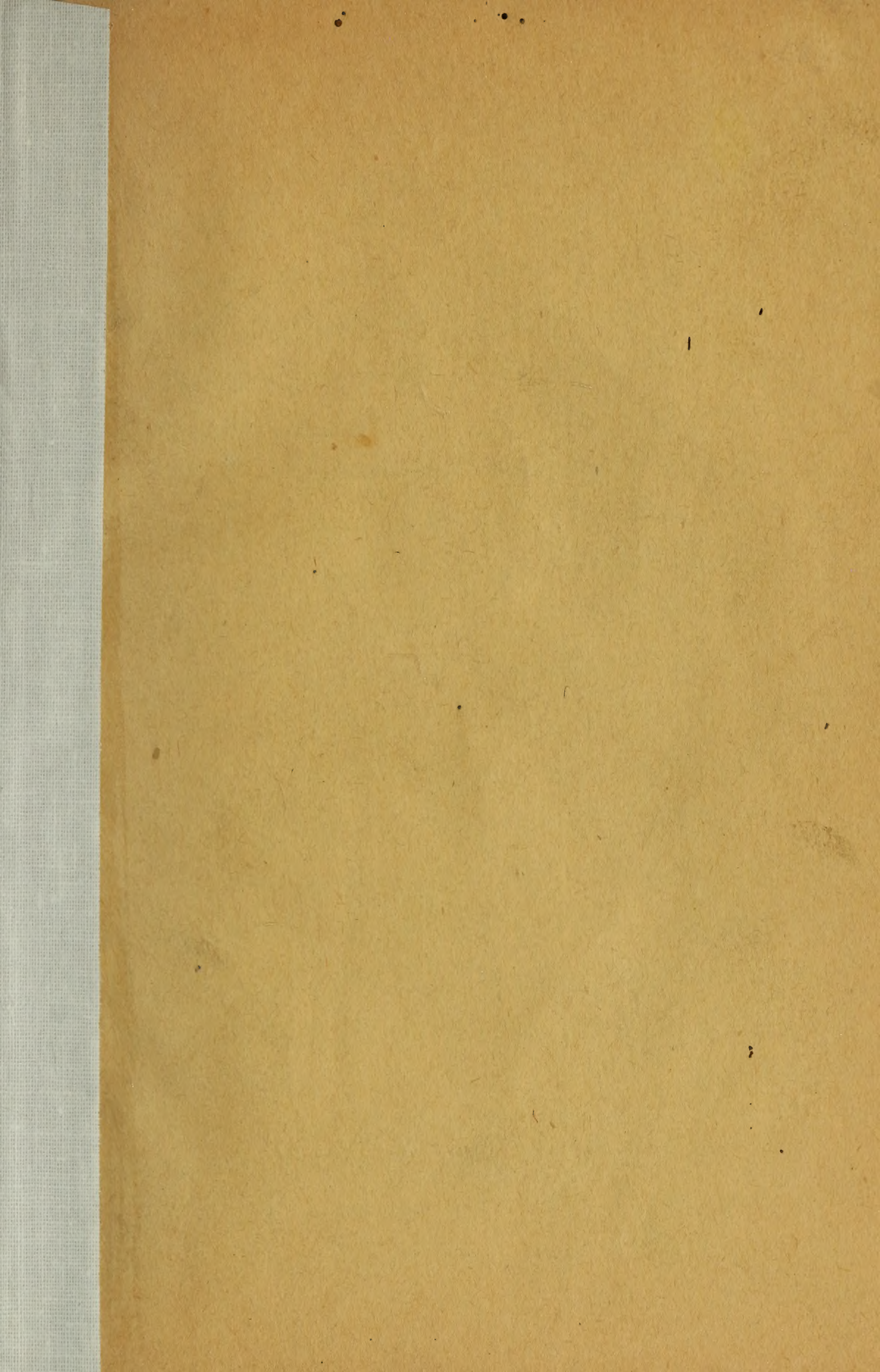
ودعته وبودى لو تودعنى   طيب الحياة وانى لا أودعه
وكم تشفع انى لا أفارقه   وللضرورات حال لا تشفعه

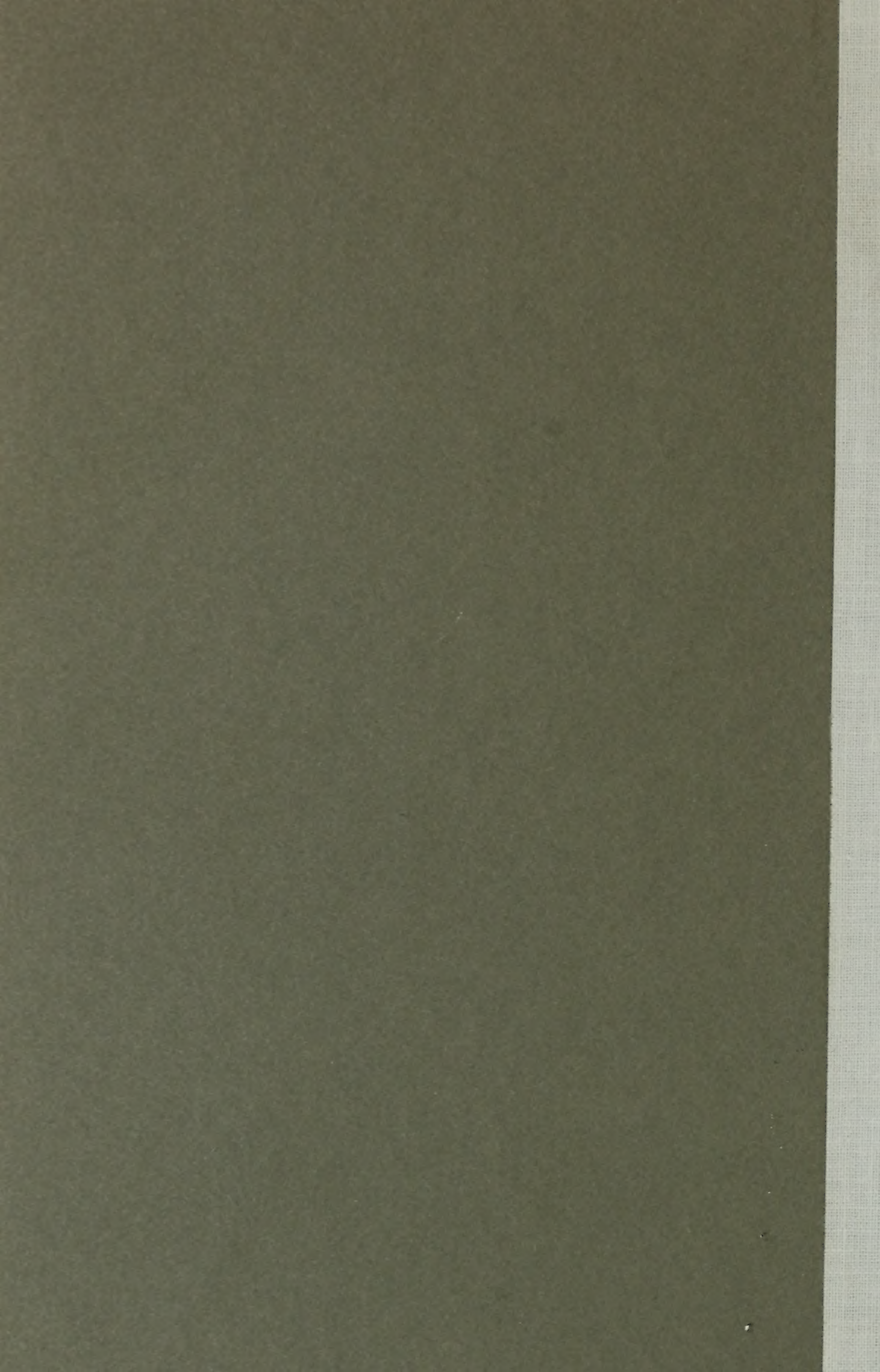
وكم تشبث بى خوف الفراق ضحى وأدمعى مستهلات وأدمعه
لا كذب الله ثوب البعد منخرق عنى بفرقته لكن أوقعه
اعتضت من وجه خلى بعد فرقته كاسا أجرع منه ما أجرعه
انى لاقطع أيامى وأنفدها بحسرة منه فى قلبى تقطعه
يا من اذا هجع النوام بت له بلوعة منه ليلى لست أهجعه
لا يطمئن لقلبى مضجع وكذا لا يطمئن له مذ بت مضجعه
ما كنت أحسب ريب الدهر يفجعنى به ولا ان بى الايام تفجعه
حتى جرى الدهر فيما بيننا بيد غدت تمنعنى عنه وتمنعه
فكنت من ريب دهرى خائفا جزعا فلم أوق الذى قد كنت أجزعه
بالله يا منزل القصر الذى درست آثاره وعفت مذ بنت أربعه
هل الزمان معيد فيك لذتنا أم الليالى التى أمضته ترجعه
من عنده لى عهد لا يضيعه كما له عهد صدق لا أضيعه
ومن يصدع قلبى ذكره واذا جرى على قلبه ذكرى يصدعه
لاصبرن لدهرى لا يمتعنى به كما أنه بى لا يمتعه
علما بان اصطبارى معقب فرجا وأضيق الامر ان فكرت أوسعه
عسى الليالى التى أضنت بفرقتنا جسمى ستجمعنى يوما وتجمعه

وها أنا أرجو عود الوصال و بلوغ المنى والآمال انه على جمعهم اذا يشاء قدير و بالاجادة لطيف خبير وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قد تم بحمد الله تعالى طبع هذا الكتاب الجليل الذى ليس له فى بابه مثيل (بمطبعة الفتوح الادبية) التى مركزها بجوار سيدى عبد الله الجوينى بشارع النبوية * وذلك فى شهر محرم سنة ١٣٣١ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه







al-Safadi, Khalil ibn Aybak
Law'at al-shaki va-dam'at al-baki